

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

*

الإدارة

بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة

تليفون رقم ٤٠٥٣٠ | ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٢

٦٠ في مصر والسودان

٨٠ في الأقطار العربية

١٠٠ في سائر الممالك الأخرى

١٢٠ في العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

*

الأعلانات يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٥٤ « القاهرة في يوم الاثنين ٥ ربيع الثاني سنة ١٣٥٣ — ١٦ يوليو سنة ١٩٣٤ » السنة الثانية

أحمد زكي باشا



فهرس العدد

صفحة	
١١٦١	أحمد زكي باشا : أحمد حسن الزيات
١١٦٣	ما فعلت الأيام : الأستاذ أحمد أمين
١١٦٥	سمو الفقر : الأستاذ مصطفى صادق الرافعي
١١٦٨	عيسى العوام : الأستاذ محمد فريد أبو حديد
١١٦٩	من روائع عصر الأحياء : الأستاذ محمد عبد الله عنان
١١٧٣	الامتيازات الأجنبية والضرائب : الأستاذ زكي دياب
١١٧٥	تقابة للأدباء الشبان : أديب كبير
١١٧٧	وفاء الطائر : الأنسة أسماء فهمي
١١٧٩	المدينة المأجدة : الأستاذ خليل هندأوى
١١٨٠	دنيا الأدب : محمد قدرى لطفى
١١٨١	الشيخ مصطفى السفتى
١١٨٢	الشيخ أحمد أبو خطوة
١١٨٣	حسن أفندى عبد الباسط
١١٨٤	الحوى : المغفور له أحمد تيمور باشا
١١٨٤	ابراهيم بك مرزوق
١١٨٤	الشيخ مصطفى سلامة
١١٨٥	الكندى : الأستاذ قدرى حافظ طوقان
١١٨٧	فرحة الألم (قصيدة) : أنور العطار
١١٨٧	يقظة الهوى (قصيدة) : فتى شط العرب
١١٨٨	هنرى دو منترلان : على كامل
١١٩٠	مدام كورى وقصة الراديو : الأستاذ مصطفى محمود حافظ
١١٩٣	طارق الليل (قصة) : الأستاذ أديب عباسى
١١٩٦	المغفل المخدوع (قصة) : م . ك .
١١٩٨	سبوة : كاتن
١٢٠٠	رسائل سائر (كتاب) : زكى نجيب محمود

رحم الله زكى باشا ورضى عنه ! لقد كان علماً من أعلام
هذا العصر ، ورسولاً من رسل هذه النهضة ! وأعلام هذا العصر
ورسل هذه النهضة معلومون معدودون ، لا تريد فيهم المجاملة ،
ولا تنقص منهم المجافاة ، ولكل واحد منهم ناحية من نواحي الإصلاح

ما فعلت الأيام

للأستاذ أحمد أمين

أعز شيء عليه في الوجود دينه ، حياته كلها دين ، ومشله الأعلى رجل ظهارته دين ، وبطائنه دين ، تفتير عينيه في خشوع دليل على أنه قضى شطر ليله في عبادة ومناجاة ، أسبل عليه الدين نوعاً لطيفاً من الرضى بالقضاء والقدر ، فلا بأسى على فائت ، ولا يجزع على ميت ، ولا يستخفه الفرح بخير ، ولا يغلو في الحزن على شر ، راض بما كان وما يكون ، فكل شيء بقضاء وقدر حتى العجز والكيس ، كل أحكامه صادرة عن دين ، فالرجل الطيب من تدين ، ورجل السوء من لم يتدين ، ويستحيل على رجل أن يكون طيباً إذا شرب كأساً من خمر ، أو لعب لعبة ميسر ، أو ترك صلاة أو زكاة — يوفق دائماً بين أعماله في الحياة وأوامر الدين ، إذا أراد الرياضة ذهب الى سيدي بشر لزيارته ، أو لسيدي جابر لصلاة الجمعة فيه ، أو أخذ جزءاً من « الاحياء » وذهب الى « طابية قايتباي » يخلو فيها بنفسه ودينه وكتاب الاحياء . وإن أراد أن يحفظ شيئاً من الأدب حفظ في نهج البلاغة لأنه يجمع بين البلاغة والدين ، وإن عرضت فرصة في دراسته للغة العربية خرج من اللغة الى الدين ، وانقلب واعظاً لتلاميذه ، حتى استطاع أن يكون منهم فرقة دينية تلتزم الصلاة والصوم وشعائر الدين .

عرفته اتفاقاً ، ولست أدري الآن سبب المعرفة وكيف كانت ، وكل ما أذكره أنى عرفته ، وفي لحظة تحولت المعرفة الى صداقة خب ، فكان من خاصة إخواني وأقربهم مودة الى قلبي ، يأنس بي وآنس به ، ويفضى إليّ بدخيلة نفسه وكامن أسرار ، وكان حبي له مشوباً بعطف عليه ورحمة له ، عطفني عليه ظرف فيه ، وأرافني به رقة حواشيه ، وملاً نفسي رحمة عليه قسوته على نفسه وأخذه لها في كل شيء بالأشد الأحمز ، قد ملك الدين عليه نفسه ، فروعه من كل نعيم خشية السؤال ، وهول عليه كل لذة خوف العقاب ، وغلبت عليه في كل تصرف فكرة الموت مخافة ما بعده ، إن قال له قائل « ولا تنس نصيبك من الدنيا » قال « ثم لتسألن يومئذ عن النعيم » .

على كل حال نعمنا بالصداقة حيناً تساهمنا فيه الوفاء ، وتقاسمنا الصفاء ، أسافر الى الاسكندرية فأرى أول واجب عليّ أن أزوره ، ويحضر الى القاهرة فيرى أول واجب عليه أن يزورني ، وأكتب

عرفته بالاسكندرية منذ عشرين عاماً ، شاباً رقيق البدن ، ضئيل الجسم ، مسنون الوجه ، شاحب اللون ، أظهر مميزاته الرقة والتواضع والتدين . حيي الطبع ، شديد الحجل ، إن جلس في قوم اعتقل لسانه ، وأطرق رأسه وأرخى عينيه ؛ وإن صدرت منه هفوة أو شيء ظنه هفوة ، تمنى لو ساخت به الأرض ، وظل يحاسب نفسه ويطيل تأنيبها ، فأثر الانفراد وأخذ الى الوحدة ، واستأنس بالوحشة ، فقلت معرفته بالناس ، وقلت معرفة الناس به ، لا يعرف من العالم إلا مدرسته التي يدرس فيها ، وبيته الذي يأوي اليه ، ومسجده الذي يتعبد فيه ؛ فأما الحياة وشؤونها ، وجدها وهزلها ، وملاهيها وألعيها ، فلا يدري منها شيئاً . لا يجلس في مقهى لأنه يخلُ بمروءته ، ولا يذهب الى تمثيل أو سينما لأنهما لا يخلوان من امرأة سافرة ، ولا يشتري شيئاً من بقال عنده لحم خنزير خوفاً من أن تكون سكينته التي يقطع بها الجبن والخلوى قد مست الخنزير ، فلا يطهرها مسح ، إنما يطهرها غسل سبع مرات إحداهن بالتراب ؛ ويغض طرفه اذا سار حذر أن تقع عينه على امرأة .

إن رسالة الفقيد الكريم كانت ضرورة من ضرورات الإصلاح في عصر قضى الله أن يبعث فيه مجد العرب ليحيا من حيٍّ عن بينة ، فإن نهوض الأمة على تاريخ طامس ، وأثر دارس ، ولغة معجمة ، وهيكل منحل ، يكون أشبه بنهوض الكسيح لا يقوم الا ليقع

وقد تلخص الفقيد رسالته أجمل تلخيص في ثلاثة أبيات من الشعر أنشأها ثم جعلها زخرف داره ، وصورة شعاره ، ومرجع حديثه . وهي :
وقفت على احياء قومي يراعتي وقلبي وهل إلا البراعة والقلب
ولى كل يوم موقف ومقالة أنادى ليوث العرب ويحكموا هبوا
فأما حياة تبعث الشرق ناهضاً وإما فناء وهو ما يرقب الغرب
رحمه الله رحمة واسعة . وعوض العروبة والعزبية والاسلام من فقدته خير عوض .

أحمد الزيات

ومصدر حكمه على الأشياء ما يفعله الاوربيون وما لا يفعلون .
قد يعارض ما يراه من ضروب المدنية مبدأ من مبادئ دينه فيظهر
عليه نوع من الارتباك والحيرة ، ويجمع في القول ويتبين في قوله
الاضطراب بين دين خالط لحمه ودمه شطراً من حياته ، وبين عقل
نزع إلى الحرية في آخر أيامه ، ويشعر بثقل الموقف على نفسه
فيجتهد في تحوير الحديث ، وتغيير مجرى القول إلى حيث يسترد
كامل رأيه ، ومنتهى حريته — هذا عقله ، وأما قلبه فدينه في
رف من رفوفه ، لم يملأه ولم يخل منه ، لذلك حرت أن أسميه
مؤمناً أو كافراً ، ماشيته مرة على البحر فرآه جميلاً جليلاً ، ورأى
القمر يسطع عليه بنوره الساحر ، فصاح هذا موضع سجود ،
فصلى على الرمل ، ودعاني مرة إلى ملهى فكان فيه كمن لا يؤمن
بحساب ولا عقاب ، وهكذا تذبذبت حياته بين نزعة قديمة ،
ونزعة جديدة ، ودين نشأ عليه ، ولا دين مال حديثاً إليه ، حيناً
يتحرك دينه الذي في الرف وينتفش حتى يعم قلبه ، وحيناً
ينكمش وينكمش حتى لا يكاد يرى أو يحس

حننت إليه لما بيننا من حب قديم ، ولكن لست أدري
لم لم تتأكد بيننا الصداقة في هذه المرة كما تأكدت من قبل ،
أكان يعطفني عليه دينه وقد رق ؟ أم كان يحنني عليه مافيه من
ضعف — مظهره الحياء والحجل ، وقد قوى فلا حياء ولا
خجل ، أم كانت تؤلف بيننا وحدة فتعددت ، وأسلوب واحد
في الحياة فتفرقت بنا السبل ، لعله شيء من ذلك ، ولعله كل ذلك ،
ولعله شيء غير ذلك ، على كل حال تركته وبيننا ودّ دخله العقل
نحف ، وصداقة جال في نواحيها الفكر فقترت

لقد خلّيته ، وأنا أفكر في شأنه ، لقد عاش شيخاً وهو
شاب ، وعاش شاباً وهو شيخ — عصي هواه صغيراً وأطاعه
كبيراً ، فليته ولد كبيراً ثم عاد صغيراً ، وليت شعري هو في أي
حالیه أسعد ، أيوم فر من العالم إلى دينه ، أم يوم فر من دينه
إلى العالم ؟ — انه ليمثل في حياته العالم خير تمثيل ، موجة دين تتبعها
موجة الحاد ، وموجة روحانية تتلوها موجة مادية ، وهكذا
دواليك ، وما أدري أيقف صديقنا في تطوره عند هذا الحد ، أم
يعود سيرته الأولى ، أم يختط مسلكاً جديداً لا هو هذا ولا هو
ذاك ؟ الله أعلم ؟

أحمد أمين

إليه ، ويكتب إلي ، ثم عفى الزمان على الصداقة فقترت حرارتها ،
وخمدت جذوتها ، لا لسبب إلا أن الصداقة ككل حي إذا لم تغذ
دائماً بالمقابلة والمكاتبة أسرع إليها الذبول فالفناء .

ثم دارت الأيام دورتها ، وتعرفت في الاسكندرية بانسان
جديد ، فإذا هو صديق القديم ، هو في هذه المرة بدين بطين ،
مطهم الوجه ، ريان السواعد ؛ كنت في أيامي الأولى أقرأ في أرنبة
أنفه وصفاء جبهته آيات السداجة والاخلاص ، وكنت أرى
في وجهه وجلسته عزوفاً عن الدنيا ، وزهداً في الاستكثار منها ،
ورضى بميسورها ؛ وكنت ألح في فتور عينه حياء العذراء وخجل
المحدرات ؛ وكنت أرى في نبرات صوته وحركات جفونه
ونظرات عينه ديناً وورعاً ، فإذا كل ذلك قد استحال كما يستحيل
الماء إلى ثلج ، علمت أنه قد ورث من أبيه فأثرى ، وسمحت لي
الظروف بمخالطته فأدهشني ما رأيت من تغير وانقلاب — رأيت
وقد أماط عن وجهه قناع الحياء ، وخلع ربقة الحشمة ، يداخل
الناس ويمارزهم ، حسن الصحبة ، جميل العشرة ، يضرب بسهم
وافر في المفاكهة والتنادر ، جيد القصص ، حسن الحديث ،
لا يأنف من حديث فاجر إذا كانت فيه نكتة حلوة ، كثرت
أصحابه على اختلاف منازعهم وطبقاتهم ، وهو عند كل جماعة منهم
قطب الرحي ، يمزج بأرواحهم ويتصل بقلوبهم ، خير كل الخبرة
بأندية اللهو وما إليها ، يعرف جد المعرفة برامج السينما في كل
أسبوع ، وما يمثل من روايات في كل فصل من الفصول ،
وعنده الخبر اليقين عن كل مغن ومغنية ، وفنان وفنانة أتت من
مصر إلى الاسكندرية تغنى أو تمثل ، ذهب عنه خفر عينيه
وأصبح يتعشق الجمال ويتبعه ، ويحلق فيه ويشتهي ، حلت
المسائل المالية جزءاً كبيراً من عقله فهو كثير التفكير فيها ، له
ديون وعليه ديون ، وله قضايا وعليه قضايا ، وله دفاتر حساب دقيقة ،
وله آمال مالية واسعة

حادثته مرة ، وكان أشد ما أريد استطلاعه منه أن أعرف
حال دينه الذي كان يملك عليه قلبه وعقله ، والذي كان يغمر حياته
ويسيطر على كل خطوة من خطواته ، فإذا عقله حر شديد الحرية
في تفكيره ، قد تحرر من كل قيد ، يعجب بالمدنية الحديثة
ويستلهمها الرأي ويستوحىها النظر ، ويتخذ عماد منطقته

سمو الفقر

في المصلح الاجتماعي الأعظم

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

- ١ -

كان النبي صلى الله عليه وسلم على ما يصف التاريخ من الفقر والقلّة ، ولكنه كان بطبيعته فوق الاستغناء ، فهو فقير لا يجوز أن يوصف بالفقر ولا تناله المعاني النفسية التي تعلق بعرض من الدنيا وتنزل بعرض ، فما كانت به خلة تحدث هداماً في الحياة فيرميها المال ، ولا كان يتحرك في سعي ينفق فيه من نفسه الكبيرة ليجمع من الدنيا ، ولا كان يتقلب بين البعيد والقريب من طمع أدرك أو طمع أخفق ، ولا نظر لنفسه في الحسبة والتدبير لتدبر معيشته فيحتلبها ذهباً أو فضة ، ولا استقر في قلبه العظيم ما يجعل للدينار معنى الدينار ولا للدرهم معنى الدرهم ؛ فإن المعنى الحى لهذا المال هو إظهار النفس رابية متجسمة في صورة تكبر على قدر من السعة والغنى ؛ والمعنى الحى للفقر من المال هو إبراز النفس ضئيلة منزوية في صورة تصغر على قدر من الضيق والعُسرة .

إن فقره صلى الله عليه وسلم كان من أنه يتسع في الكون لا في المال ، فهو فقير يعد من معجزاته الكبرى التي لم يتنبه إليها أحد إلى الآن ، وهو خاص به ، ومن أين تدبرته رأيته في حقيقته معجزة تواضعت وغيّرت اسمها . معجزة فيها الحقائق النفسية والاجتماعية الكبرى ، وقد سبقت زمنها بأربعة عشر قرناً ، وهي اليوم تثبت بالبرهان معنى قوله صلى الله عليه وسلم في صفة نفسه « إنما أنا رحمة مهداة »

نحن في عصر تكاد الفضيلة الإنسانية فيه تلحق بالألفاظ التاريخية التي تدل على ما كان قديماً . . بل عادت كلمة من كلمات الشعر تراد لتحريك النسيم اللغوي الراكد في الخيال ، كما تقول : السحاب الأزرق ، والفجر الأبيض ، والشفق الأحمر ، والتطاريق انوردية على ذيل الشمس ؛ وأصبح الناس ينظر أكثرهم إلى أكثرهم بأعين فيها معنى وحشى لو لمس لضرب

أو طعن أو ذبح ؛ وعملت المدنية أعمالها فلم ترد على أن أخرجت الشكل الشعري لأنسانها الغنى ترفاً ونعمة وافتناناً بين ذلك ، من أيسر الحلال إلى الفظيع المتفاحش في الإباحة ، فكأنما وضعت المدنية عقلاً في وحش ، فزاغت فيه الطبيعة من ناحيتين ؛ ثم قابلته بالشكل الوحش لأنسانها الفقير ، فكأنما نزع عقلاً من إنسان ، فضلت فيه الطبيعة من ناحيتين ؛ وكان مع الأول سرف الهوى ، وكان مع الثاني سرف الحماقة .

وقد أصبح من تهكم الحياة بأهلها أن يكون الفقير فقيراً وهو يعلم أن صناعته في المدنية هي عمل الغنى للأغنياء . . وأن يكون الغنى غنياً وهو يعلم أن عمله في المدنية هو صنعة الفقر لضميره .

وخرجت من هذا وذاك مسائل جديدة في فلسفة المعاشة الإنسانية التي يسمونها « الاجتماع » ، فسؤال اسمه الاشتراكية يسأل القوة أن تجعل صاحب المال من ماله كالمرأة المطلقة من رجلها . . وسؤال اسمه الشيوعية يطلب من القوة أن تسلط على كل حى ما يجعله في قواه كصاحب الدار سلط عليه الطغيان فانقلبت داره سجنه ، فهو يتألم من معنى نعمته بمعنى شقائه ، ويكون أغيب له أن روح السجن ليست شيئاً غير روح البيت ؛ وسؤال اسمه العدمية ^(١) يأمر القوة أن تجعل الإنسان كالحیوان المستوّلغ فيما يجده من طيب وخبيث لا يبالى ذماً ولا عاراً ، وليس إلا أنه يعيش ليموت أكلاً ونوماً . . .

هذا إلى أسئلة كثيرة لو ذهبنا نعدّها ونصفها لطلال بنا القول وكلها عاملة على نزع الشعور العقلي من الحياة لتظهر أسخف مما هي ، وأقبح مما كانت ؛ حتى أصبحت الشمس تمحو ليلاً عن المادة وتلقى ليلاً على النفس ، في حين أن الدين والإنسانية لا يعملان غير بث هذا النور العقلي في الأشياء والمعاني لتظهر الحياة مضيئة ملتزمة فتصبح أوضح مما هي في نفسها ، وأجل مما هي في الطبيعة .

في مثل هذه النزعات المتقاتلة التي صعدت بالفلسفة وزلت ، وجعلت من العلم في صدر الإنسانية ملء سماء من الغيوم بسوادها ورعدها وصواعقها ، وتركت العالم يضج ضجيج المزعج في قلب

(١) الفوضوية وما هو في معناها من طيش النزعة

هنا ، أى فى الإرادة التى فىك وحدك ، لا هناك ، أى فى الخيال الذى هو فى كل شىء . وهنا ، فى أخلاقك وفضائلك التى لاتدفعك إلى طريق من طرق الحياة إلا إذا كان هو بعينه طريقاً من طرق الهداية والحكمة ؛ وليس هناك ، فى أموالك ومعاشك التى تجعلك كاللص مندفعاً إلى كل طريق متى كان هو بعينه طريقاً إلى نهبة أو سرقة . هنا ، فى الروح إذ تشعر الروح أنها موجودة ثم تعمل لتثبت أنها شاعرة بوجودها ، ماضية إلى مصيرها ، منتهية بجسدها إلى الموت الإنسانى على سنة النفس الخالدة ؛ وليس هناك فى الحس إذ يتعلق الحس بما يتقلب على الجسم فهو مهتاج لشعوره بوشك فناءه فلا يحدث إلا الألم إن نال أو لم ينل ، وهو منتهى بجسمه إلى الموت الحيوانى بين آكل ومأكول على سنة الطبيعة الفانية .

أيها الحى ، إذا كانت الحياة هنا فلا تكن أنت هناك

إن الحكيم الذى ينظر إلى ما وراء الأشياء فيتعرف أسرارها لا تكون له حياة الذى يتعلق بظاهرها ولا أخلاقه ولا نظره ، هذا الأخير هو فى نفسه شىء من الأشياء له مظهر المادة وخداعها عن الحقيقة ، وذلك الأول هو نفسه سر من الأسرار له روعة السر وكشفه عن الحقيقة . ولهذا كان فى حياة الأنبياء والحكماء مالا يطيقه الناس ولا يضبطونه إذا تكلفوه ، بل ينخرق عليهم فيكون منه العجز ، وينشأ من العجز الغلط ، ويحدث من الغلط الزلل .

ونظرة نبينا صلى الله عليه وسلم إلى هذا الوجود نظرة شاملة مدركة لحقيقة الانهائية ، يرى بداية كل شىء مادية هى نهايته فى التو واللحظة ، فلا وجود له إلا عارضاً ماراً ، فهو فى اعتباره موجود غير موجود ، مبتدىء منتهى معاً . وبذلك تبطل عنده الأشياء المادية وتأثيرها ، فلا تتصل بنفسه العالية إلا من أضعف جهاتها ، ويجد لها الناس فى حياتهم الشجرة والفرع والثمرة ، وما لها عنده هو جذر ولا فرع . وبهذا لم يفتنه شىء ولم يتعلق بشىء ، وكانت الدنيا تطول الناس وتتقاصر عنه ، وكانت منقطعة النماء وهو ذاهب فى نموه الروحى ، وكأنما هو صورة أخرى من آدم عليه السلام ، فكلاهما لمس بنفسه الحياة جديدة خالية مما جمع فيها الزمن وأهله

كل حى حتى لتذاع المموم إلى قلوب الناس إذاعة الأصوات إلى أسماعهم فى « الراديو » . . . فى مثل هذا البلاء الماحق تتلفت الإنسانية إلى التاريخ تسأله درساً من الكمال الإنسانى القديم تطيب منه لهذه الحماقات الجديدة ، ولو علمت لعلمت أن درس هذا العصر فى علاج مشاكله الإنسانية هو « محمد » صلى الله عليه وسلم الذى لن يبلغ أحد فى وصفه الاجتماعى ما بلغ هو فى قوله « إنما أنا رحمة مهداة »

هذا المصلح الاجتماعى الأعظم يلقي فقره اليوم درساً على الدنيا العلمية الفلسفية ، لا من كتاب ولا فكر ، ولكن بأخلاقه وعمله وسيرته ؛ إذ ليس المصلح من فكر وكتب ، ووعظ وخطب ، ولكنه الحى العظيم الذى تلتسمه الفكرة العظيمة لتحيا فيه وتجعل له عمراً ذهنياً يكون مُصرِّفاً على حكمها ، فيكون تاريخه ووصفه هو وصف هذه الفكرة وتاريخها . وما كان محمد صلى الله عليه وسلم إلا عمراً ذهنياً محضاً تمر فيه المعانى الآلهية لتظهر للناس إلهية مفسرة . وكل حياته صلى الله عليه وسلم دروس مفضلة مختلفة المعانى ، ولكنها فى مجملها تخاطب الإنسان على الدهر بهذه الجملة : أيها الحى ، إذا كانت الحياة هنا فلا تكن أنت هناك . أى إذا كانت الحياة فى الحقيقة فلا تكن أنت فى الكذب ، وإذا كانت الحياة فى الرجولة البصيرة فلا تكن أنت فى الطفولة النزقة ؛ فإن الرجل يعرف ويدرك فهو بذلك وراء الحقيقى ، ولكن الطفل يجهل ولا يعرف الدنيا إلا بعينه فهو وراء الوهم ، ومن ثم طيشه ونزقه ، وإيثاره كل عاجل وإن قل ، وعمله أن تكون حياته النفسية الضئيلة فى مثل توثب أعضاء جسمه ، حتى كأنه أبداً يلعب بظاهره وباطنه معاً . .

أيها الحى ، إذا كانت الحياة هنا فلا تكن أنت هناك . أى الحياة فى ذاتك الداخلية وقانون كالمها ، فإذا استطعت أن تُخرج للأرض معنى سماوياً من ذاتك فهذا هو الجديد دائماً فى الإنسانية وأنت بذلك عائش فى القريب القريب من الروح ، وأنت به شىء إلهى ؛ وإذا لم تستطع وعشت فى دمك وأعصابك فهذا هو القديم دائماً فى الحيوانية ، وأنت بذلك عائش فى البعيد البعيد من النفس وأنت به شىء أرضى كالحجر والتراب .

به من الريح المرسلة ، ولكنه لا يدعه يتناسل عنده ، ولا يتركه ينبت في عمله ، وإنما كان عمله ترجمة لأحاسسه الروحية ، فهو رسول تعليمي ، قلبه العظيم في القوانين الكثيرة من واجباته ، وهو يريد إثبات وحدة الإنسانية ، وأن هذا الإنسان مع المادة الصامتة العمياء مادة مفكرة مميزة ، وأن الدين قوة روحية يلقي بها المؤمن أحوال الحياة فلا يثبت بازائها شيء على شئيتها ، إذ الروح خلود وبقاء ، والمادة فناء وتحول ، ومن ثم تخضع الحوادث للروح المؤمنة وتتغير معها ، فإن لم تخضع لم تخضع لها ، وإن لم تتغير لا تتغير الروح بها ، وأساس الإيمان أن ما ينتهي لا ينبغي أن يتصرف بما لا ينتهي .

وما قيمة العقيدة إلا بصدقها في الحياة ، وأكثر ما يصنع هذا المال : إما الكذب الصراح في الحياة ، وإما شبهة الكذب ، ولهذا تنزه النبي صلى الله عليه وسلم عن التعلق به ، وزاده بعداً منه أنه نبي الإنسانية ومثلها الأعلى ، حياته الشريفة ليست كإحدى الناس إيجاداً لحل مسائل الفرد وتعقيداً لمسائل غيره ، ولا توسعاً من ناحية وتضييقاً من الناحية الأخرى ، ولا جمعاً من هنا ومنعاً من هناك ، بل كانت حياته بعد الرسالة منصرفة إلى إقرار التوازن في الإنسانية ، وتعليم الجميع على تفاوتهم واختلاف مراتبهم كيف يكون لهم عقل واحد من الكون . وبهذا العقل الكوني السليم ترى المؤمن إذا عرض له الشيء من الدنيا يفتنه أو يصرفه عن واجبه الإنساني — أثبت نفسه العظيمة إلا أن ترتفع بطبيعتها ، فإذا هو في قانون السمو ، وإذا المادة في قانون الثقل ، فيرتفع وتهوى ، ويصبح الذهب — وإنه ذهب — وليس فيه عند المؤمن إلا روح التراب .

مصطفى صادق الرافعي

من طمع وشره ، وجاء آدم ليعطى الأرض ناسها من صلبه ، وجاء محمد ليعطى الناس قوانينهم من فضائله ، فأدم بشخصه هو دنيا بُعثت لتتسع ، ومحمد بشخصه هو دنيا بعثت لتنظم .

وماذا يفهم من الفلسفة الأخلاقية النبوية العظيمة ؟ يفهم منها أن الشهوات خلقت مع الإنسان تتحكم فيه لينقلب بها إنساناً يتحكم فيها ، وأن الإنسان الصحيح الذي لم تزوره الدنيا يجب أن يكون ذا روح يمتد فيفيض عن غايات جسمه إلى ما هو أعلى فأعلى حتى يصبح في حكم النور وانطلاقه وحرية ، ولا ينكمش فيحصره جسمه في غايته وضروراته فيرتد إلى ما هو أسفل أسفل حتى يعود في حكم التراب وأسرعه وعبوديته . فالفقر وما إليه ، والزهد هو بسبيل منه ، والانصراف عن الشهوات والرذائل — كل ذلك إن هو إلا تراجع النفس العالية إلى ذاتها النورانية حالاً بعد حال ، وشيئاً بعد شيء ، لتضيء على المادة فتكشف حقائقها الصريحة فلا تبالها ولا تقيم لها وزناً . فبينما الناس يرون الأموال والشهوات مادة حياة وعمل وشعور ، تراها هي مادة بحث ومعرفة واعتبار ليس غير ، وبهذا تكون النفس العظيمة في الدنيا كأستاذ العمل ، تدخل المادة إلى معمله وهي مادة وفكرة ، وتخرج منه وهي حقيقة ومعرفة ، وعلى أي أحوالها فهي إنما تُحس في ذلك العمل بأصابع علمية دقيقة ليس فيها الجمع ولا الحرص ، ولكن فيها الذهن والفكر ، وليس لها طبيعة الرغبة والغفلة ، ولكن طبيعة الانتباه والتحرز ، وليست في أسر المادة ، ولكن المادة في أسرها ماشاءت .

ولا يسمى فقره صلى الله عليه وسلم زهداً كما يظن الضعفاء ممن يتعلقون على ظاهري التاريخ ، ولا يحققون أصوله النفسية ، وأكثرهم يقرأ التاريخ النبوي بأرواح مظلمة تريهم ما تری العين إذا ما اختلط الظلام ولبس الأشياء قراءات مجحولة لا تفصيل لها ، مُفرغة لا تبين فيها ، وما بها من ذلك شيء ، غير أنها تتراءى في بقية من البصر لا تغمرها .

وهل الزهد إلا أن تطرد الجسم عنك وهو معك ، وتنصرف عنه وهو بك متعلق ؟ فتلك سخرية ومُثَلَّة ، وهي في رأي تشويه للجسم بروحه ، وقد تنعكس فتكون من تشويه الروح بجسمها فليس يعلم إلا الله وحده : أذاك تفسير لانسانية الزاهد بالنور ، أم هو تفسير بالتراب

ولقد كان صلى الله عليه وسلم يملك المال ويمجده ، وكان أجود

الرسالة في شهر الصيف

تسهيلاً لوصول الرسالة الى قرائها مدة

العطلة تقبل الادارة الاشتراك الشهري بواقع

أربعة قروش عن كل أربعة أعداد تدفع مقدماً

مجهولو الأبطال

الصليبية - وكان السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب في ذلك الوقت في صراع الحياة أو الموت مع ملوك الفرنج قد بلغ به الجدة أن كان يتمثل بقول عبد الله بن الزبير وهو يصارع الاشر النخعي في موقعة الجمل مصارعة من لا يريد هودة ، إذ قال :

اقتلونني وما لكما واقتلوا مالكما معي

وكان الفرنج قد جمعوا جموعهم وحشدوا حشدهم أمام عكاء ، وجعلوا التغلب عليها مقصد مهمهم . فكان هناك ملوك ثلاثة هم أكبر ملوك أوربا وزعماء فرسانها . وحاصروا المسلمين في ذلك الثغر من قبل البر ومن قبل البحر ، وأتى صلاح الدين من خارج المدينة يحاول رفع الحصار عن اخوانه وجنوده .

واستمرت جنود الجانبين في القتال ، وبذل كل قصاراه في النضال ، وعض على النواجذ من الأضراس . واستطالت بهم الحرب نيفاً وسنتين ، حتى اشتد الأمر بالمحصورين ، وعجز صلاح الدين عن أن يرفع عنهم نطاق الأعداء ، فأخذ ذلك النطاق يتضايق ويشتد ، حتى بلغت الشدة بالمحصورين مبلغاً عظيماً ، وتراخت همه الدفاع من طول الجهد وشدة القتال .

فذهب جماعة من صيادي عكاء ممن درجوا على أمواج البحر ونشأوا على أمواجه ، فعرفوا مداخله ومخارجه ، وبرعوا في اقتحام تياراته وخوض غمراته ، وعرضوا على قادة المسلمين ما في طاقهم من المساعدة في ذلك المأزق . وتساءل القادة ماذا عسى هؤلاء يصنعون في قتال العدو ؟ وماذا تراهم يستطيعون أن يرزأوا فيه ؟ فأقبل عليهم الصيادون يعرضون أن يحملوا الأخبار إلى اخوانهم المحصورين ، وأن يحملوا المال اليهم إذ استحال على السلطان الاتصال بهم ، وقالوا انهم يستطيعون أن يستتروا بجنح الليل فيسلوكوا سبيلهم بين سفن الأعداء سباحة ، فاذا ما تعذر ذلك سلوكوا بينها غاطسين في الماء كما تسلك الأسماك وتسبح الحيتان . وكان صلاح الدين في أشد الحاجة إلى الاتصال بالجنود والقواد الذين يدافعون عن المدينة ، فقبل ما عرض هؤلاء الأبطال ، وكانوا منذ ذلك الوقت لا ينقطع وافدهم من المدينة إلى عسكر المسلمين ، أو من عسكر المسلمين إلى المدينة . وكانوا لا يطلبون في سبيل ذلك جزاء ، إن هو إلا قربان يقدمونه احتساباً ، وواجب يؤدونه عن رضا وسخاء .

عيسى العوام

للأستاذ محمد فريد أبو حديد

وقفت إلى جانب الطريق المسكين وقد فقد المحيطون به الأمل في حياته ، وكان رجلاً نيف على الستين ، ظل يجاهد في عمله حتى وقع وهو يدفع عربته وعليها حملها الثقيل فكان في وقته أجله ، وهو من أهل الصعيد الأعلى كما تم عليه عمامته وسحتته ، إذ كان ثوبه المهلهل لا يكاد يماسك في رأى العين ليكون آية دالة على منبت لابس ، فكان موته في جوار البحر الملح موت المهاجر الشهيد ، لا تحيط به عناية أهل ، ولا ترفه عنه شفقة البنين . ومن يدري ماذا كان يعاني ذلك المسكين قبيل ضجعته من آلام تحملها صامتاً ، وجاهد في سبيله وهي تحزه وتطعنه ؟ ومن يدري على أية حال من الضعف كان يدفع بحمله في سبيل القوت ، وسوط الجوع من ورأه يلهب ظهره ؟

ووقف حوله معي جماعة من أهل الساحل بقوامهم السمهري ولونهم الحمري ، فكانوا يؤدون له تحية الوداع على غير معرفة ، والشفقة بادية في محياهم ، ولم يكن أحدهم خيراً منه بزة ولا مظهر ، ولكنهم كانوا جميعاً يعرفون كنه ما في هذه الحال من عظمة لأنهم يجاهدون مثله ، ولعلمهم هاجروا مثله من بلاد قصايا في التماس الخبز وما يبلله من رقيق الأدام . « أولئك قومي بارك الله فيهمو »

وانصرفت وفي عيني دمة كما كان في عين سواي من الوقوف شفاقاً على ذلك المسكين ، وجعلت أفكر فيما تدين به الحياة لهؤلاء . نعم عدة السفيها العوام العمل ، وهم جنود النضال . وأذكرني ذلك التفكير بطل من هؤلاء الدهاء ذكر التاريخ اسمه ، وأقام له مثلاً هو رمز لمجهولي الأبطال ، فلسنا نعرف أهله ولا منبته . ولا شيئاً مما عيشه غير اسمه ، وهو « عيسى العوام »

كانت تلك الرجل يعيش في تلك الأثناء في الشام سنة نيف وثمانمائة هـ . في أيام النضال الكبير بين الشرق والغرب - أيام الحروب

٢- من روائع عصر الأحياء

حياة بنفونوتو تشاليني مكتوبة بقلمه

مثل أعلى للتربية الشخصية

للاستاذ محمد عبد الله عنان

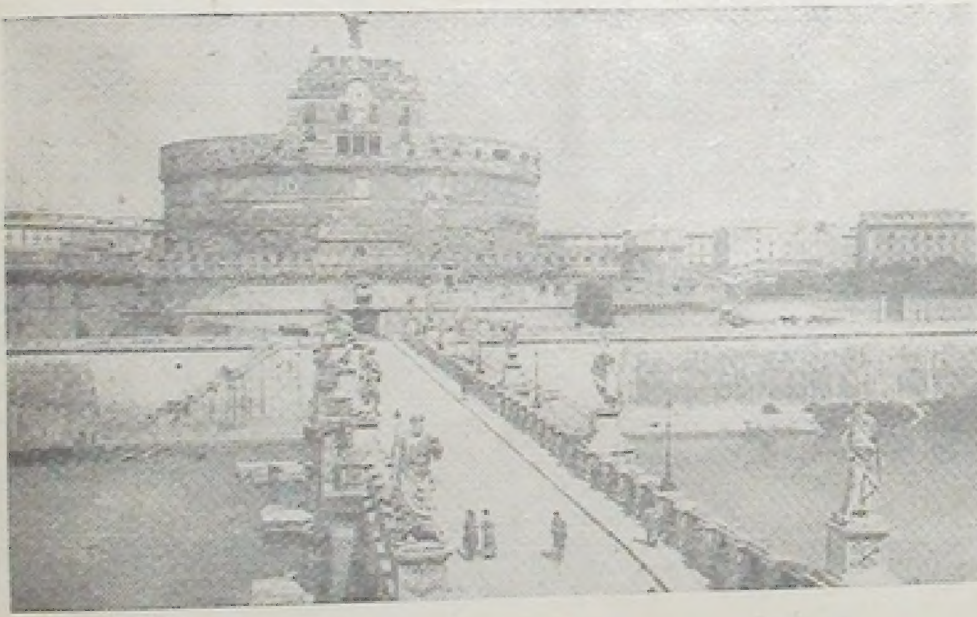
وظهر من بينهم « عيسى العوام » فكان أسرعهم سبحا وأجراًهم على الليل والنهار ، وأكثرهم إقداماً على الاخطار . فصار يهتف باسمه ، ويدعى إذا ما اشتد الخطر وادلهم الخطب . وكان هو لا يخيب ظناً ولا يخيم عند دعوة . وكانت بسالته تزداد كلما ضاقت حلقة الحصار . والتأمت فروجه واتصلت سلسلته . فكان أقر لعينه وأثلج ل صدره أن يغوص في شبر بين سفن الفرنج ، أو يسبح على مرمى سهم من نبالهم . وبقي على أداء واجبه مدة حتى طلع يوم ، وانتظر أهل عكاء طلوع عيسى عليهم من ثنايا الموج كعادته ، فلم يتحقق لهم ذلك . وطال وقوفهم وامتدت أعناقهم نحو البحر ، كلما برق لهم شيء ساج ، أو لمع لهم جسم طاف ، أشاروا إليه إشارة الملهوف ، وتوقعوا أن يكون هو عيسى ، ثم تبين لهم أنه حباب الماء أورشاش الموج ، فعادوا إلى ناحية أخرى ، فشدوا إليها أبصارهم ثم لم يلبثوا أن يجدوا خيبة لظنونهم وتكذيباً لأوهامهم . ولما طال بهم الوقوف وملوا الانتظار انصرفوا وفي قلوبهم هلع وتوقع للمحدور ، ولم تخل صدورهم من شكوك ساورتها في أمانة عيسى وديانته . وقد يما كان في الناس الطمع وأعمامهم الجشع ، وقد يما فتنتهم حب المال وأغواهم شيطان الغرور . أ يكون عيسى كبعض من خان وافتتن ؟ أ يكون عيسى ممن خذلهم نقوسهم عندما استطال بها النضال ، وانخلع فؤادهم عندما اكفهر الجو وأظلم ؟ لم يرد الله أن يدع تلك المشكوك تساور ذكرى عيسى ، ورحم ذلك الرجل أن يهمس هامس عند ذكرى اسمه بما ثار في صدره من شك ، فتسود بين الناس صحيفة بيضاء عند الله . فأرسل الموج حاملاً جسمه نحو الشاطئ ، فرأى الناس بعد بضعة أيام من غيبته وانقطاعه جثته ملقاة على الشاطئ ، ولا تزال حولها أكياس الذهب التي كان بعث بها صلاح الدين معه إلى المدينة . فرأى الناس عند ذلك جثة شهيد قضى وهو يؤدي الأمانة ، وجاد بالنفس وهو في سبيل الخير والمجد .

رحم الله « عيسى العوام » ! وكم في الناس من مثل عيسى ؟ . غير أن التاريخ لا يذكر منهم أحداً إلا قلته ليشير إلى أن بين المجهولين الآف الألوف من أفذاذ الأبطال .

محمد فريد أبو صبر

لم ينعم بنفونوتو تشاليني بالسكينة طويلاً بعد الحوادث العاصفة التي خاضها ، وبعد أن فقد عطف البابا وحمانيته . وفي ذات يوم وقعت مشادة بينه وبين صديق قديم من مواطنيه كان برومة وكان يدينه بشيء من المال ، وسبه ذلك الصديق بألفاظ جارحة ، فغلب عليه عنفه المعهود وضربه في رأسه بحجر فسقط مغشياً عليه . وأبلغ الحادث إلى البابا ، فأمر بالقبض على تشاليني وشنقه في مكان الجريمة . ولكن تشاليني شعر بالخطر الذي يهدده ، واستطاع أن يفر من رومة في الوقت المناسب . وقصد إلى نابولي ، وأقام بها حيناً ، واتصل بدوقها وحظي بعطفه ورعايته ؛ والتقى هناك بحبيته أنجليكا الصقلية . ثم وصله خطاب من الكردينال دي مديتشي حاميهِ القديم يأمره فيه بالعودة سريعاً إلى رومة ؛ فسافر إليها في الحال ومعه أنجليكا ؛ واستقبله الكردينال بترحاب وطمأنه على نفسه وحرية ؛ وبعد أيام قلائل استطاع أن يزور البابا كلنضوس ، وأن يقدم إليه « مدالية » بديعة من صنعه ؛ ثم سأله الصفح والرعاية بكلمات رقيقة ؛ فأعجب البابا بهذه التحفة ، وأمره أن يصنع له تحفاً أخرى تمثل بعض مناظر التاريخ المقدس ، ووعدته بالعفو والرعاية . ولكن البابا لم يعيش طويلاً ليحقق وعده ، ومرض وتوفي بعد أيام قلائل ؛ وحدث على أثر موته ذلك الاضطراب الذي يحدث عادة قبيل انتخاب البابا الجديد ؛ ولبث بنفونوتو يرقب الفرص ؛ ولكنه ارتكب في تلك الأثناء جرماً جديداً ، وقتل رجلاً آخر من رجال البطانة يدعى بومبيو تحرش به ذات يوم بكنيسة القديس بطرس ، فسار إليه ولقيه على مقربة من منزله وطعنه بخنجره بين أصدقائه وأعوانه فألقاه صريعاً . ويقص علينا تشاليني هذا الحادث الدموي وأمثاله في عبارات صريحة هادئة ،

من حانوته ولم يؤد ما عليه ، فطالبه بنقونوتو بواسطة القضاء وحصل على حكم بحبسه ؛ فاستشاط الرجل غيظاً واتصل ببعض أتباع السينور بير لويجي ولد البابا وكان يعرف عندئذ بالدوق كاسترو ، وأفضى إليه أن تشاليني يملك ثروة طائلة من الجواهر ، وأن هذه الجواهر إنما هي من جواهر الكنيسة ، سرقها تشاليني وقت الحصار حينما كان في حصن سانت أنجيلو ؛ وأنه يجب القبض عليه قبل أن يفر مرة أخرى . فأثمرت هذه السعاية ثمرها ؛ وفي ذات صباح جاء ضابط الشرطة مع سرية من الجند الى حانوت تشاليني ، ونبأه الضابط بأنه أضفى سجين البابا ، وأنه مكلف بأخذه الى حصن سانت أنجيلو حيث يعتقل الأكار والرجال الممتازون ؛ ثم أحاط به عدة من الجند ، وجردوه من سلاحه ، ثم اقتادوه الى الحصن ، وهناك أُلقي الى غرفة في البرج الأعلى ؛ وكانت هذه أول مرة يذوق فيها مرارة السجن ، وكان يومئذ في السابعة والثلاثين



حصن سانت أنجيلو

كان حصن سانت أنجيلو في ذلك العصر أمتع معقل رومة ؛ ولا يزال الحصن الشهير قائماً على مقربة من قصر القاتيكان وميدان القديس بطرس ، على ضفة نهر تيفري ؛ يشهد بطرازه العجيب ومناعته الخارقة بما انتهت اليه هندسة القلاع في العصور الوسطى من الأحكام والتقدم . ولقد أتيح لكاتب هذه السطور أن يزور حصن سانت أنجيلو مراراً وأن يتجول في أقبية ومخادعه المظلمة ، وأن يرقى الى أبراجه الشاهقة ، وأن يتأمل طويلاً في جنبات ذلك

كأنها حوادث عادية لا خطورة فيها ، ويصور لنا بذلك مبلغ اضطرام نفسه ، ومبلغ استهتاره بالحياة البشرية

وانتخب الكردينال فارنيسي لكرسي البابوية باسم بولس الثالث ، وعهد الى تشاليني بصنع نماذج نقوده ، وأعطاه عهداً بالأمان . ولكن جماعة من خصومه وأصدقاء بومبيو القليل لبثوا يدسون له لدى السينور بير لويجي ولد البابا حتى اعتزم القبض عليه ، ولكن بنقونوتو علم بهذه المؤامرة في الوقت المناسب ففر الى فلورنس ، وأقام بها حيناً يخدّم أميرها الدوق الساندرو دي مديتشي . وهناك أصابته حمى شديدة كادت تقضى عليه ؛ فلما برى من مرضه ، عاد الى رومة بعد أن استيقن أنه لم يبق ثمة ما يخشاه من كيد خصومه . وكان البابا يستعد في ذلك الحين لاستقبال الامبراطور شارل كان ، فعهد الى تشاليني بعمل صليب بديع من الذهب المرصع بالجواهر ليهدي الى الامبراطور ، وتحلية كتاب للصلاة ليهدي الى الامبراطورة . ويصف لنا تشاليني هذه الزيارة التاريخية ، وكيف شهد استقبال البابا لامبراطور ، وقدم اليه الكتاب المرصع وخاطب جلالته بفصاحة وجنان ثابت ؛ وكيف عكف بعد زيارة الامبراطور على صقل جوهرة بديعة أهداها الامبراطور للبابا وتركيبها في خاتم بديع الصنع . وكان تشاليني دائماً هائم الذهن والخيال ، يهوى التنقل والمخاطرة ، فما كاد ينتهي من صنع التحف البابوية حتى اعتزم تنفيذ مشروع قديم عنده ، هو السفر الى فرنسا

وسرعان ما نفذ عزمه ، وسافر الى فرنسا بطريق سويسرا وألمانيا ، مع خادم فتي يدعى اسكانيو . ولما وصل الى باريس سعى لرؤية فرنسوا الأول ملك فرنسا ، فاستقبله بترحاب في فونتينبلو ؛ وسافر بنقونوتو في ركبه الى ليون ؛ وهناك مرض ولزم فراشه ، وأصابته الحمى فتاه اسكانيو ؛ فكره المقام في فرنسا ، وعول على الرجوع الى رومة ، وغادر فرنسا في أول فرصة ، فوصل الى رومة بعد رحلة شاقة ؛ وافتتح له حانوتاً كبيراً فخماً ، واستأنف عمله ، واتسعت موارده ؛ ولكنه لم يكن يتمتع بذلك العطف البابوي القديم الذي كان يستظل برعايته وحمايته ؛ وكان القدر من جهة أخرى يهيئ له أروع مفاجأة عرفها في حياته . ذلك أنه كان يستخدم عاملاً من بروجيا ، وكان يدينه ببعض المال ؛ ففر الرجل

الأثر المدهش ، وهو اليوم يستعمل متحفاً حريباً تعرض في طابقه الأول أسلحة العصور المختلفة ، ولكن طبقاته العليا لا زالت خالية تعرض لنا بعض الآثار الغريبة ، وأخصها الجناح الذي كان يسكنه البابوات كلما التجأوا الى الحصن ، وغرفة نوم البابا بولس الثالث وسريته وكرسيه . على أن أروع ما في الحصن مخادعه المنيعة الواقعة في الجهة الخلفية ، وهاوياته السحيقة التي تنساب الى أعماق مظلمة لا يدرك غورها . وهناك مخادع معينة ، اشتهرت على كر العصور بمن زج اليها من العظماء والسادة ؛ فهذا مخدع تقول الرواية إنه هو الذي سجن فيه بنقونوتو تشاليني ؛ وهذا مخدع تقول إنه هو الذي زج اليه جاليليو ، وآخر زج اليه جوردانو برونو وهكذا ؛ ولقد لبث هذا الحصن المروع عصوراً سجننا لهاكم التحقيق (التفتيش) ، وكان مقبرة لكثير من العلماء والأخبار الذين قضوا نحبهم فيه ضحية المطاردة الدينية ؛ ولا يزال السائح المتفرج يشعر فيه برهبة تلك العصور وروعيتها

زج بنقونوتو تشاليني الى مخدع في البرج الأعلى ، لا تزال تعينه لنا الرواية حتى اليوم ؛ ولبت ثمانية أيام منسياً لا يفتاحه أحد بشيء ، وفي اليوم التاسع قدمت الى السجن لجنة من ثلاثة على رأسها حاكم رومة ، ووجهت الى تشاليني تهمة اختلاس مقدار من الحلى الرسولية وقت أن كان يعمل أيام الحصار بمدفعية الحصن ، وأسر اليه البابا كليمنضوس أن ينتزع الحلى الرسولية من اطاراتها ؛ وأن قيمة هذه الحلى قدرت بمبلغ ثمانين ألف جنيه (كرونا) ، وأن عليه أن يردّها أو يرد قيمتها ، وإلا فانه يترك ليرسف في سجنه . وعبثاً حاول تشاليني أن يقنع اللجنة ببراءته ، وأن الحلى الرسولية مرصودة في دفاترها فلتراجع فيها ، وأن دفاتره رهن تصرف اللجنة لترى أنها في منتهى الدقة ، وأنه قد خدم الكرسي الرسولي بفنه وإخلاصه مدى أعوام طويلة ، فلا يحق أن يجزى بمثل ذلك القصاص . ولما نقل دفاعه الى البابا أمر بمراجعة الحلى على قوائمها فوجدت تامة لا ينقصها شيء . ومع ذلك ترك تشاليني يرسف في سجنه ؛ وكان البابا يحمله سعى بطاقته ، قد أصبح يرى في تشاليني رجلاً شريراً يجب التنكيل به ؛ وزاد حنقه عليه أن رسولا جاء الى رومه من قبل فرانسوا الأول ملك فرنسا يسعى في اطلاق سراح تشاليني ، ورد على السفير بأن

تشاليني رجل شرير ، لا يستحق اهتمام جلالته . وكان محافظ الحصن رجلاً طيب القلب فلورنسياً من مواطني تشاليني ، فعمل على تخفيف وطأة سجنه ، وتركه في الحصن حراً طليقاً يتجول فيه كيفما شاء مكتفياً بعهده ألا يحاول الفرار ؛ وكان تشاليني ينفق وقته في التجوال بالحصن وصنع بعض الحلى التي يأتيه بها فتاه المخلص اسكانيو ، وكان يسمح له بزيارته وبأن يحمل اليه ما شاء . ويقول لنا تشاليني أنه لم يشأ أن يفكر في الفرار لولا أن حادثاً وقع في السجن وحمل تبعته ، وهو أن قساً زميلاً له سرق منه قطعة من الشمع الذي يتخذ منه نماذج للحلى ، وطبع عليها مفتاح غرفته ليحاول صنعه ثم الفرار فيما بعد ، ولكنه ضبط واعتقد المحافظ أن تشاليني شريك في هذا العمل ، فأمر باعتقاله في غرفته والا يبرحها بعد ، وشدد عليه الخناق ، ولم يحله من هذه القيود الا بعد أن أقنعه تشاليني ببراءته ؛ وهنا أدرك تشاليني خطورة موقفه ، وأيقن أنه سيبقى عرضة لهذه المفاجآت الخطرة ؛ إذا قضى عليه بالبقاء في هذا الأسر ؛ ونمى اليه أيضاً أن البابا يصر على اعتقاله ، وأن مساعي الملك فرانسوا في سبيله لم تثمر شيئاً ، فأخذ يفكر في مصيره ويرى الانجاة له من تلك المحنة الا بالفرار وزاده غمماً على الفرار حادث جديد وقع بينه وبين المحافظ . ذلك أن المحافظ كانت تنتابه في بعض الأحيان أعراض جنون غريب فيتصور أنه ضفدعة أو وطواط ، أو يتصور أنه ميت يجب أن يدفن ، ففي ذات يوم من أيام جنونه سأل بنقونوتو هل يفر ويطير اذا استطاع ، فأجابه بنقونوتو ، أنه اذا أطلقت له الحرية ، فانه يصنع لنفسه أجنحة يطير بها ؛ وعندئذ أقسم المحافظ أنه سيعتقله ككرة أخرى ويشدد عليه الحراسة ؛ وفي الحال نفذ وعيده ، وزج بنقونوتو الى غرفته ، ووضع تحت الرقابة الصارمة . ومن تلك الساعة أخذ بنقونوتو يدبر وسائل الفرار ، وكان خادمه اسكانيو قد حمل اليه أغطية جديدة لفراشه ، فمزقها شراً وجعل منها حبلاً طويلاً ، وكان لديه أيضاً خنجر ، ومقبض حديدى كبير سرقه من نجار الحصن ، فخبأ هذه الأشياء في مرتبته ؛ وبدأ يعمل لانتزاع المسامير الغليظة التي ثبتت بها مفاصل الباب ، ويغطي مكانها بشمع قائم حتى لا يكتشف أمره ؛ وأنفق في هذا العمل جهداً كبير حتى انتهى منه . وفي ذات ليلة اشتدت فيها

فسحبت خنجري وطلعت أحدها طعنة نجلاء جعلته يصيح محتضرا ، فالتفت باقى الكلاب حوله ؛ وأسرعت زاحفاً على اليدين والركبتين نحو طريق « القديس بطرس » (الكنيسة) ؛ وكان النهار قد أسفر ، وشعرت بالخطر الذى يهددنى . وهنا قابلت سقاء وراء حماره المحمل بالقرب ؛ فناديته ، ورجوته أن يحملنى الى شرفة سلم القديس بطرس ، وقلت له اننى شاب فررت من نافذة صاحبتى ، فكسرت ساقى ؛ ولما كان المنزل الذى اقتحمته منزل أسرة كبيرة ، فانى فى خطر القتل ؛ ووعدته بأن أعطيه ديناراً من الذهب وأريته كيسى المنتفخ ؛ فحملنى فى الحال على ظهره وسار بى الى ميدان القديس بطرس ووضعنى عند الشرفة ، وعاد مسرعاً الى حماره »

واستمر تشالينى فى زحفه قاصداً الى منزل قريب للأميرة يعرف أنه يستطيع الالتجاء الى حمايتها وهى زوجة الدوق الساندرو مديشى ؛ ولكن رآه عندئذ أحد حشم الكردينال كرنارو الذى يقع قصره فى ذلك المكان وعرفه ، فهرول الى الكردينال ونبأه ، فأمره بحمله . فلما رآه هداً روعه وطمأنه ، واستدعى الطبيب لعلاج . وذاع نبأ الحادث فى رومة ، فاهتز الشعب الرومانى دهشة وإعجاباً لهذه الجرأة . وذهب الكردينال كرنارو مع بعض زملائه الى البابا وسأله الصفيح عن ذلك الرجل الموهوب ، فأجاب بالعفو ووعد الاثابة . ولكنه طلب الى كرنارو فيما بعد أن يسلمه تشالينى ليقم عنده فى أحد الغرف السرية ، فاضطر كرنارو الى تحقيق رغبته لكي يحقق له بعض مصالحه ، وكانت نيات البابا نحو تشالينى غامضة ؛ وحمل تشالينى الى القصر البابوى ، واعتقل هنالك عدة أيام ؛ وفى ذات مساء قدمت الى غرفته سرية من الجند وحملته الى حصن سانت انجيلو ، وألقته فى مخدع صغير يطل على إحدى الساحات الداخلية ؛ وبذا رد الى سجنه المروع كرة أخرى ، وغاضت كل آماله فى الخلاص ، وغلبت عليه الروعة والاستكانة . يقول تشالينى : « وكان قبس ضئيل من النور ينفذ الى غرفتى النعسة من ثقب صغير مدى ساعة ونصف فى كل يوم ، فلا أستطيع القراءة إلا فى هذه الفترة ؛ أما باقى النهار والليل فكنت أمكث صابراً فى الظلام ، لا يفارقنى التفكير فى الله وفى ضعفنا الانسانى . وكنت على يقين من أنه لن تمضى أيام قلائل حتى أقضى نحسى فى

النوبة على محافظ الحصن واجتماع حوله معظم الحرس ، اعزم أمره . ويصف لنا تشالينى فراره فى عدة صحف ساحرة رائعة كنا نحب أن ننقلها بنصها لولا ضيق المقام . وقد بدأ بأن دعا الله بمحرارة أن يرأه وينقذه . ثم رفع مفاصل الباب وعالجه حتى استطاع الخروج ، وثبت الحبل المصنوع من شرائح الأغصنة بنتوء فى سور البرج وأدلاه ، وعاد فرفع بصره الى السماء قائلاً : « رباه ، إنك تعلم عدالة قضيتى ، فاشملنى برعايتك » ؛ ثم أمسك بحبله وتدلى حتى وصل الى الأرض من ذلك العلو الشاهق ؛ وظن أنه غداً حراً طليقاً ، ولكنه كان فى الساحة الداخلية يفصله عن الخارج سوران كبيران . بيد أنه لم ييأس ، ورفع قطعة كبيرة من الخشب كانت ملقاة هنالك على السور الأول وتساقها حتى القمة ، ثم تدلى بحبل صغير كان معه الى الساحة الأخرى ؛ وهنالك رأى أحد الحراس على مقربة منه فاعزم أن يسحقه ، وقصده شاهراً خنجره ، ولكن الحارس ولاه ظهره ؛ ثم تساق السور الآخر ؛ وهنا خائنه قواه قبل أن يصل الى الأرض فسقط من ارتفاع ، واصطدمت رأسه بالأرض وأغمى عليه ، ولكنه كان عندئذ خارج الحصن . يقول تشالينى « وقد كاد النهار يسفر ، فهب على الهواء الصبوح الذى يسبق بزوغ الشمس ، ورد الى حواسى ؛ ولكن حوائى لم يعد تماماً ، وخيل لى أن رأسى قد فصل ، وأننى انحدرت الى عالم العدم ، ثم عادت الى قواى شيئاً فشيئاً ، وأيقنت أنى غدوت خارج الحصن ، وتذكرت فى الحال كل ما وقع ، وشعرت بجرح رأسى قبل أن أشعر بكسر رجلى ، وذلك حينما مسستها ، ورأيت يدى قد خضبتا بالدماء ، بيد أنى رأيت بمد فخصها أن الجرح لم يكن خطيراً . ثم أردت النهوض ، وعندئذ رأيت ساقى قد كسرت مما يلى الركبة ؛ ولكنى لم أياس ، واستخرجت خنجري من غمده وألقيت الغمد ، لأنه كان ينتهى بكرة كبيرة ، وهى التى اصطدمت بساقى وكسرتها ، وقطعت خنجري قطعة من القماش وضمدت ساقى ؛ وأمسكت خنجري بىدى وزحفت على أربع نحو باب المدينة ؛ وكان الباب مغلقاً ، ولكنى رأيت تحت حجرة ، فأزحته فتحرك ، فدفعته وفتحت من الخرق الى داخل المدينة . وكان بين الحصن والمدينة نحو خمسة خطوات ؛ ولما دخلت المدينة هجم على عدة من الكلاب ، وأخذت تلاحقنى وتعضنى عفاً ألياً ،

الامتيازات الأجنبية والضرائب

للأستاذ زكي دياب المحامي

ذلك المبدأ الذي أخذ به العالم كله ؛ فالأجانب معفون أصلاً من الضرائب إلا إذا وافقت دولهم سلفاً . وقد استطاعت مصر أن تحصل على هذه الموافقة بعد جهود كبيرة بالنسبة لأربعة أنواع من الضرائب يسوى في حياتها بين الوطني والأجنبي وهي : —

أولاً : الرسوم الجمركية ، والضرائب التجارية المفروضة طبقاً للمعاهدات التجارية . فللحكومة أن تفرض من هذه الضرائب ما تراه لازماً كضريبة الكحول .

ثانياً : ضريبة الأراضي طبقاً للفرمان العثماني الصادر بتاريخ ٧ صفر سنة ١٢٨٤ ، وهو الذي خول لهم بمقتضاه حق تملك العقار .

ثالثاً : عوائد المبانى طبقاً لاتفاق لندن سنة ١٨٨٥ ، وللدكرينو الخديوي الصادر في ١٣ مارس سنة ١٨٨٤ .

رابعاً : عوائد مجلس بلدى اسكندرية طبقاً للمادة ٣١ من الدكرينو الخديوي المؤرخ ٥ يناير سنة ١٨٩٠ .

فإذا ما حصلت الحكومة من أحد الأجانب رسوماً أو ضرائب في غير نطاق ما ذكرناه ، كان له الحق في طلب استردادها أمام المحاكم المختلطة ، التي تحكم طبقاً للمادة ١١ من لائحة ترتيبها فيما يخص حقوق الأجانب المكتسبة بالمعاهدات .

وفي الطريق الذي استطاعت به مصر أن تحصل على موافقة الدول على تلك الأنواع المذكورة من الضرائب تفصيل رأيت أن أبسط شيئاً منه :

وافقت الدول الأجنبية على سريان قوانين الضرائب على رعاياها فيما يتعلق بالضريبة العقارية على الأراضي الزراعية ، والضريبة العقارية على أراضي البناء ، وهما نوعان من الضرائب المباشرة .

أما عن الضريبة العقارية على الأراضي الزراعية فلم يكن يسمح قبل القرن التاسع عشر لأجنبي ما أن يملك عقاراً في الدولة العلية . ولم يعف الأجانب من هذا الحظر إلا عند ما حل عام ١٨٦٧ إثر مفاوضات طويلة . على أنه بالرغم من ذلك المنع السابق ، اعتراف الأجانب أن يسلوكوا طرقاً ملتوية *unions détournées* للحصول على تلك الملكية المحرمة ، فكان الواحد منهم يبتاع الأرض باسم شخص متجنس بالجنسية التركية . وإزاء ذلك رأت الدولة

عبثت الامتيازات ولا زالت تعبث بمرافق الدولة العامة ، ووقفت في سبيل نموها عقبة ليس من اليسير تذليلها إلا على الأيام . وأثرت فيما أثرت على التشريع المالي تأثيراً بالغاً ، وددت لخطورة شأنه أن أفرد له هذا الفصل .

إن المبدأ العام الذي يحكم تشريع الضرائب في البلاد المتقدمة هو وجوب قيام كل فرد يقطن الأقليم بقسطه في الضريبة التي تفرض ، بغض النظر عن تباین الجنسيات . تلك هي القاعدة العامة التي يأخذ بها الشارع والتي تقتضيها حكمة التشريع . وهي تستند على فكرتين أوليتين : محلية الضرائب ، وعمومية الضرائب . والأولى بدورها تعتمد على الحقيقة المعروفة القائلة بأن سيادة الدولة محدودة في نطاق أقليمها . وعماد الفكرة الثانية ضرورة تحمل كل فرد نصيبه من التكاليف العامة ، حتى تقوى الدولة على إنجاز المشروعات الكبار التي تضطلع بها .

والآن وقد أوردنا المبدأ العام متعجلين ، نقول في أسف شديد إن مصر أكرهت تحت عبء الامتيازات على عدم التمشي مع

هذا المكان وفي هذه الظروف . بيد أنني كنت أروح عن نفسي ما استطعت ذاكرة أن الموت بضربة من سيف الجلاد أشنع من ذلك وأفظع ، هذا بينما أستطيع الموت هنا هادئاً كأنني في غفوة النوم . وشعرت شيئاً فشيئاً أن لهب حياتي يخبو ، حتى اعتاد جسمي البديع على ذلك الانحلال ، وحتى شعرت أنه أطمأن إلى تلك الظروف التعسة ؛ واعتزمت أن أحتمل آلام المروعة في سكونية وجد ما بقي لي شيء من قوة الاحتمال . وكان ذلك لعام ونصف من انتقاله الأول ، أعني في منتصف سنة ١٩٣٩ .

محمد عبد الله عنانه
المحامي

« الخاتمة تأتي »

ولا يجب فلقد ذهبت المحاكم المختلطة مذهبهم وعززت وجهة نظرهم في أحكامها ، فقررت أنه برغم إطلاق النص في قانون ٧ صفر وشموله الضرائب العقارية عن الأراضي بنوعيتها ، فإن العرف قد أكسب الأجانب حق إعفائهم من الضرائب على أراضي البناء . ونحن لا يكفيننا إزاء الدور الذي تلعبه المحاكم المختلطة في موضوعنا هذا أن نمر سراعاً على حكم لها ، بل سنبين فيما بعد أكثر أحكامها معاقين على بعضها عندما نرى ضرورة لذلك .

وأخيراً وبعد لأي وافقت الدول على تطبيق دكريتو سنة ١٨٨٤ المتعلق بالضريبة على الأراضي المبنية على رعاياها ، وكانت تلك الموافقة سنة ١٨٨٥ .

هاتان الضريبتان المباشرتان يخضع لهما الأجانب حالاً في مصر بعد الجهود المضنية التي بذلت للموافقة عليهما وبخاصة للموافقة على ضريبة المباني ، فمن انكار تام لمشروعيتها ، إلى عبث بالنص صريح ، إلى أحكام متقدمة تصدر من المحاكم المختلطة ، ولا أراجع أنا هذه المحاورات والتمحيل من الطرف الأجنبي إلا إلى رغبة كينة في النفس الأجنبية تدفعها دائماً إلى أن تبجل في يدها جماع الحقوق وأكثر المنافع .

ولسنا في حاجة إلى أن نبين كيف وافقت الدول على النوعين الآخرين من الضرائب ، فلقد سجل دكريتو ٥ يناير سنة ١٨٩٠ في المادة ٣١ منه الأجانب عبء عوائد مجلس بلدى الاسكندرية ، شأنهم في ذلك شأن الأهالي ، لما لبلدية اسكندرية من شخصية معنوية متميزة ، ونظراً لتمثيل الأجانب فيها تمثيلاً صحيحاً . أضف إلى ذلك كثرتهم في الثغر ، فلو تخلصوا من عبء الضرائب فقدت بذلك البلدية مورداً هاماً .

وللحكومة المصرية بما تبرمه من معاهدات تجارية مع الدول الأجنبية أن تفرض الضرائب التجارية والرسوم الجمركية .

أما المحاكم المختلطة فلقد لعبت دوراً خطيراً في الموضوع ، فكلما همت الحكومة راغبة في فرض ضريبة جديدة حال بينها وبين ما تبني عدم اعتراف المحاكم المذكورة بحق الحكومة في فرض ضرائب جديدة كتمثل بها الأجانب فلا تستطيع

الغلبة أن تضع حداً لتلك الحال ، فأباحت تحت تأثير هذا العامل الملكية العقارية لسكن فرد ، بغض النظر عن تباين الجنسيات . ولقد تعرض الحظر الهياوي الصادر سنة ١٨٥٦ لهذا الموضوع ، فنص صراحة على إباحة الملكية العقارية للأجانب في أراضي الدولة وولايتها ، على أن يدعى هؤلاء الملاك لما يفرض على الجميع من التكاليف المالية ، فاستووا بذلك مع الأهالي .

ولكن حركة الإصلاح لم تنجح ، إذ تأجل نفاذ هذه النصوص النصريجة ؛ فحاول الباب العالي بعد ذلك مرة أخرى أن يخضع هؤلاء الأجانب للوائح والقوانين التي تسرى على الملكية العقارية ، وطلب ذلك ملحاً ، فأجابه الدول إلى ما طلب بقانون صدر بتاريخ ١٠ يونيه سنة ١٨٦٧ الموافق ٧ صفر سنة ١٢٨٤ ، وسمح للأجانب أن يكونوا ملاكاً عقارين للأراضي الزراعية في الدولة العثمانية ، وألزموا بالقيام بكافة الفرائض المالية على الأراضي الزراعية - أسوة بالوطنيين - في أي صورة تتشكل بها تلك الفرائض ولقد خول الأجانب في مصر حق تملك الأراضي وكلفوا في الواقع بضرائهم قبل أن يُسن قانون ٧ صفر ومن قبل أن يسمح لهم بالملكية في تركيا . ذلك أن الأجانب الذين حازوا في مصر ملكية عقارية لم يفكروا في منازعة الحكومة المصرية في حق كانوا يرون من الطبيعي الخضوع له ، فكانوا يعتبرون الضريبة ديناً على الأرض نفسها لا على مالكيها (دو روزاس ص ٤٦٥) ، ومن أجل ذلك كان غير صحيح القول - كما يرى دو روزاس - بأن فرمان ٧ صفر هو الذي قرر الضريبة العقارية على الأجانب في مصر . تلك هي الأدوار التي مر بها تشريع الضرائب العقارية على الأراضي الزراعية وخضوع الأجانب لها .

أما الضرائب العقارية على أراضي البناء فقد قبل الأجانب سداد الضرائب العقارية عن الأراضي الزراعية بعد اقتناع وتسليم برحمة الطلب . ولكنهم رفضوا جميعاً الوفاء بضريبة أراضي البناء حتى بعد صدور فرمان ٧ صفر الذي صادق عليه الدول ، والذي تقضى مادته الثانية بإلزام الأجانب بالضرائب على الأراضي الزراعية والأراضي المبنية . وفي انكار هذا الحق وعدم الذول على لائحة القانون تحميل تعيل للنس الصريح .

نقابة للأدباء الشبان

لأدب كبير

أخرج اليوم من معزلى إذ سمعت نجة حسبها نجة معركة
حرية ، وتحركت نفسى لرأى ميدان تلك الضجة ، فعز على أن
أرى الصرعى يئنون من الألم وجراحهم تجري بالدماء ، وأن أرى
العاليق تزار ، وترغى وتربد ، وسيوقها تقطر من دماء ضحاياها ؛
وعولت على أن أنزل الى الميدان لألقى فيه نصيبي من الأذى إذا لم
يتح لى أن أنصر ضعيفا أو أنصير لظلم .

وقد يحسب قارى أنى أهزل فى قولى - ولا بأس عليه إذا
هو ظن ذلك - فانى لا يضغرنى أن يحسب قارى أنى أهزل ،
مادام لا يظن فى أنى أسخر منه أو من سواه ، فانى لا أحب أن
يظن أحد فى أنى أسخر منه ، فان السخرية مُمرّة الطعم ، وقد
ذقتها فوجدت قبحتها فوق كل قبح .

ولكنى مع ذلك أرجع الى نفسى فأقول : إننى لا أخشى
من أن يظن أحد فى أنى أسخر ، فقد طال استخر كبار الأدباء
من قرائهم ، ولا يزيد قرائهم مع ذلك إلا إعجاباً بهم ؛ بل إن
بعض شيوخ الأدب قد زاد وبرز فى ذلك الباب إلى أن قال لقرائه
فى صراحة عجبية إنه يسخر منهم ، وإنه عالم بأن القراء لا يعجبون
بالكاتب الأديب أشد الإعجاب ، إلا إذا تفنن فى السخرية بهم .
فلا بأس على إذن إذا حسب أحد القراء أننى أسخر ، فانى قد
أصل بذلك الى إعجابه وإكباره .

وإنى هنا قاصد الى الأدباء الشبان أدعومهم الى اتباعى والأخذ
برأى ، بعد أن شهدت صراعهم فى النضال الأخير مع مشيخة
الأدب وكباره . وقد يقول قائل وكيف تجعل نفسك بين الشبان
وقد بلغت من السن فوق مبلغ الشبان ؟ ولكن ذلك القول لن
يشينى ، فانى لا أردع بمثل هذا العنف ، وإنى لا تزال فى بقية
من الشباب تكفى لأن تبرر مدخلى فيهم وانخراطى فى سلكهم .
على أن الأديب لا يعد شاباً إذا كانت سنه من الشباب ، فإن
الشباب والشيخوخة فى الأدب لها اصطلاح خاص واعتبار موضوع .
فالأديب الشاب هو الذى لم يبلغ من الشهرة مبلغاً مذكوراً ولو كان
قد نيف على الحسنيين ؛ والأديب الشيخ هو من ضرب اسمه فى

أزاء ذلك شيئاً . فلا بد من موافقة الدول سلفاً ، ويجب أن توافق
على مقدماً على كل ضريبة مستحددة . وكل اجراء مالى سن به قانون
أو شرع فى سنه وكان يلقى على عاتق الأجانب عبء ضريبة
أو فريضة مالية أيا كان نوعها .

ووقف قرار الجمعية العمومية بالحكمة فى سبيل فرض ضريبة
السيارات التى شرعت الحكومة فى سنها أخيراً ورأت أن
الحكومة تريد بذلك أن تفرض نوعاً مستتراً من الضرائب
العقارية على الأجانب لأن تلك الضريبة كما تراها هى رسوم لاستعمال
الطريق العام .

وأخيراً وبعد جهود عادت فأقرتها . وقضت تلك المحاكم فى
القضية التى رفعها الفيكونت روفونتارس سنة ١٩١٢ بأن الضرائب
التي تفرضها مجالس المديرات للصرف منها على المنافع العامة ليست
خاضعة لشروط موافقة الجمعية العمومية المقررة فى مادة ٢٤ من
القانون الصادر فى أول مايو سنة ١٨٨٣ .

وقضت كذلك فى عدة قضايا ، منها قضية شركة سكة حديد
القاهرة الكهربائية ، وقضية أوجت قساجيه ضد مديرية البحيرة .
وترى المحاكم المختلطة أيضاً فيما يتعلق بالأشخاص المصنوية أنها
إن كانت مؤلفة من الأجانب تخضع للضرائب المباشرة التى تقررها
الحكومة المصرية على الأشخاص الطبيعيين المصريين .

وخلاصة القول أن المحاكم المختلطة انتهت الى التفريق بين
الضرائب المباشرة وغير المباشرة ، فهذه الأخيرة يجوز فرضها ،
أما الأولى فيجب لفرضها موافقة الدول ، على أن ذلك القيد قديم
نشأ نتيجة لعرف فاسد منتقد لا نتيجة نص صريح .

ومما يستنبط من ذلك أيضاً ومن مجموعة الأحكام التى لم نشأ
أن نورد كل ما لدينا منها أن الحكومة أن تفرض ضريبة مباشرة
أو غير مباشرة على رعايا الدول غير المتمتع بالامتيازات ، وعلى الشركات
المساهمة المؤسسة فى مصر وقد حكم بأن جنسيتها مصرية ولو كان
أعضاؤها أجانب ، وإن كانت تشملها فى حالة تقاضيتها نظرية الصالح
المختلط . ولكن ذلك لا يزيل مالها من صفة مصرية يظهر أثرها
فما يتعلق بالضرائب .

فهاموا الى العمل أيها الأدباء الشبان .

وإني منذ اليوم أجعل نفسي رداء لمن يدخل منكم نقابة الأدباء الناشئين أدفع عنهم عادة الشيوخ ، وأقف دونهم إذا ما سمع أحدهم يزأر أو يزجر ، أو إذا مارؤى بعضهم يرغى أو يزبد ، ولست أقف هذا الموقف لأني آتس في نفسي قوة فوق قوة الشاب أو قدرة على الدفاع لم يؤتها سواي منكم معشر مساكين الأدباء ، بل أقف موقفي هذا متدرباً بدرع قلدت فيه بعض شيوخ الأدباء ، فقد رأيت أحدهم عفا الله عنه ، وزاده بسطة في الأدب ، وأمتع به بابي الجد والفكاهة في الكتابة ، وحفظ عليه دهاء وبهاء — ولا مؤاخذه إذا لم يسعني الخاطر الكليل بسجة خير من تلك — أقول رأيت ذلك الصديق القديم قد لجأ إلى حيلة خائفة له عقلة القوى ، وهي أن يبدأ نزاهه وطعانه بأن يتبرأ من كل ما كتب في الماضي وما يكتب في الحال والمستقبل من نثر ونظم ، ومن جد وفكاهة . فإذا ما وثق من أن الناس انخدعوا بذلك واعتقدوه ، أقبل على السكين أو المسكين الذين اختارهم لطعانه فما زال يخرمهم ويضحك ، ثم يطعنهم ويضحك وهو يتسلى بما يراه من عتف حركات مساكينه وعلو صراخهم . فإذا ما دفع الألم أحدهم إلى الدفاع أو الانتقام وسدد طعنته إلى عضو من أعضائه قال له ثابتاً غير مترعج « ومن أدراك أن هذا العضو يهمني أمره ؟ ومن قال لك أنني أعبا بطعنتك لي في هذا الموضع أو ذاك ؟ » فيصدق المسكين وتنفجر عيناه بدموع الحنق والمعجز ظناً منه أن هذا المنازل متحصن فيما لا مطمع فيه ، ثم يرى بحرته أو سهمه ، ويعدل عن انتقامه ، وتلك حيلة فطنت لها دون سواي من الأدباء ، وستكون لي عدة في نزال الدفاع عن أفراد النقابة إذا ما التأم أمرهم ، وتم اجتماعهم ، فإذا هم جعلوني نقيبهم جعلت نفسي فداءهم ، ولن يصيبني بفضل حيلة صديق الشيخ أذى ولا ألم ، وسأجعل هي أيها الأدباء الشبان إذا ما وفقكم الله إلى اختياري زعيماً لكم أن أقوم فيكم بدعوة أو « دعاية » كما يقول بعضهم تكون لكم فيها بركة إن شاء الله ، وذلك أن أنصح لكم أن تقللوا من الاهتمام لما ينالكم من وراء ما تؤلفونه ، وأن تقفوا من مؤلفاتكم موقف الناظر « المتفرج » لتروا ما يقول الناس فيها ، ولكم الحق في أن تضحكوا ملء أفواهكم من سواكم سخرة إذا رأيتم أنه لم يوفق إلى فهم ما في مؤلفاتكم من جمال أو حقيقة

الحاقيق ولو لم يكن ممن بافوا سن الثلاثين أو الأربعين . وعلى هذا فأنا شاب في عرف الأدباء ، لأنني بحمد الله قليل الحظ من ذبوع الاسم ، بل أكاد لا أسمع اسمي يذكره ذاكر إلا في أمر من أمور هذه الدنيا البعيدة عن عالم الأدب ، ولقد حبس إلى الجول والبعد عن الشهرة منذ اقترن ذلك الجول باسم الشباب ، فإني كنت دائماً أحب الشباب واسم الشباب ولو كان مقترناً بالذم ؛ وقد كان لي صديق — عفا الله عنه — عرف في ذلك الطبع ، وكان يحلوه أن يشتمني ؛ ولكنه مع ذلك كان حريصاً على مودتي ، فدفعه خبثه إلى أن يجعل سبابه لي مقترناً باسم الشباب ، فكان إذا رآني يمدني بقوله : « ما هذا الذي فيك من طيش الشباب ؟ » وقوله : « إنك تظهر في عملك هذا ضروباً من جهل الشباب » وقوله : « إنك والله مليء بنزق الشباب » . فكنت أقبل الشتم ما دام دفيناً في وصف الشباب المعسول ، وبذلك توصل صديقي إلى ما شاء من سبابي ، ولم يخش أن يخسر شيئاً من مودتي . ولم أفطن إلى حيلته الخبيثة إلا بعد لآي ، ولكنني مع ذلك لم أعانبه ولم أغضب عليه ، بل بقيت راضياً بما ينالني من شتمه لأحظى بوصف الشباب من ورائه . وعلى هذا فليست إلا حقياً بدخولي في زمرة الشبان الأدباء ، قانعاً بوجودي بينهم . وما دمت كذلك فإني لا بد مذمهم على الشيوخ ، ومعصيهم ومخرضهم . وأول آيات ذلك التعصيب أنني أدعوهم اليوم إلى تأليف نقابة لهم ، لتكون جامعة لكلمتهم ، ورابطة لهم عند الملأ إذا ما فكر الشيوخ مرة أخرى في أن يصبغوا لهم العيون بلون الدماء .

وأى شيء يستنكر في دعوتي هذه إلى تأليف نقابة للأدباء الشبان ؟ وهل في ذلك بدعة أو ضلالة ؟ إن الأديب الشاب شبيه بالعامل الفقير الذي لم يدخر بعد مالاً ، ولم يتأثل شيئاً من حطام الدنيا ، والشيوخ الأدباء هم الذين ادخروا وتأثلوا . ألسنا نراهم اليوم يقولون للشبان إنكم مدينون لنا بكل شيء ؟ أليسوا قد أعلنوا للملأ أنهم الأوصياء على إنتاج الأدب وتوزيعه ؟ وما دام هذا هكذا — كما يقول شيخ منهم — فإن الأمر لا بدعة فيه ولا ضلالة ؛ فقديمًا اجتمع ضعفاء العمال لكي يحموا أنفسهم من وقعة أصحاب « رؤوس الأموال » بهم ، فلما أن فعلوا أظهروا للعالم أن العمل شيء واجب أن يرضى فيه الحق ، وأن يتخذ في معاملته العدل .

وفاء الطائر

الآنسة أسماء فهمي

درجة شرف في الآداب

امتقع وجه الشمس ، وخبّت أشعتها ، وعلاها اصفرار ،
وأصابها رعشة ، وغشى الأفق حمرة الوجد في ساعة الغروب ،
ثم وجهت الطبيعة ، واطمأن الجدول في سيره ، ورق النسيم
واستولى على الكائنات شعور متقبض حزين . . .

ثم حالت نغمة الحقل في الأصيل ؛ ونظر الناس إلى الشمس
الغاربة فأثروا الرواح ، وتخللت الماشية ، وقلق الصغار ، فسارع
المقربون إلى جمع شتات أدواتهم من قووس وسلالات ، وامتطوا
دوابهم فصارت تعدو بهم يدفعها الحنين والشوق إلى الدار بعد
نصب النهار ؛ وسرعان ما ازدحمت بالعائدين الطرق والمساكن الموصلة
إلى القرية . وكلهم مفتون بروعة المساء ، الإنسان والحيوان
في ذلك سواء . . .

وأمام الدور في القرية تجمهرت النساء والأطفال ، وسرت
الحياة في الأرواح ، وتطاوت الأعناق لاجتماع طلبة القادمين كما
لو أن أمد الشوق والفراق قد طال . . .

والطير لمحت بدورها احتضار الشمس من بين الأغصان ،
فتبادلت النظرات ، وتجاوبت بالأغاريذ كأنها تذكرت أمراً
ذا بال ، وسرعان ما جمعت جموعها وغادرت أسرة الأغصان ،
وحلقت في الفضاء أسراباً تندفع اندفاعاً نحو العش بقوة الحنين
وعزم الجناح . . . والحق ليس هناك أروع من منظر الطير ،
يدفعها الحنان نحو العش فلا تعود تأبه بتدليل الغصن ولا بحمال

فهم بين أمرين لا ثالث لهما : إما أن يذكرها محاسنه ومساويه كما قال
أحد قدماء مشايخ الأدب ، وأن يعدلوا في الحكم ماداموا يعملون
عنوان كتابتهم « نقد كذا » وإما أن يجعلوا عنوان كتابتهم
« محاسن كذا » ويكتفوا بذكر محاسنه أو « مساوي كذا »
ويكتفوا بذكر مساويه ، فإذا هم قبلوا ذلك الشرط أبحث لكم
العودة إلى معاونتهم ومشاركتهم ، وإن هم أبوا ، مضينا في الأضراب
حتى تلجئهم ضرورة الحياة إلى النزول عند المدخل .

فهل من عجيب أيها الأدباء الشبان ؟ « أريب »

وبذلك تكونون قد وقفت من فائدة على سواة — فإذا لم تستطيعوا
ذلك ، ورأيتم أن الناقد قد أخذ عليكم مسامع الناس فاساء ، عندهم
ذكركم ، فإني أنصح لكم أن تروضوا أنفسكم على فاسفة الأستاذ
الذي وصفت لكم حياته حتى تصلوا بعد حين من رياضتها على تلك
الفلسفة إلى مرتبة القدرة على أن تنظروا إلى مؤلفاتكم في شيء
من الاحتقار ، أليست مؤلفاتكم من صنعكم ؟ وإذا لم تكن
معجبة ولا باهرة ، أليس في طاعتكم أن تخلقوا سواها ؟ فإذا كانت
باهرة ولكنها قد ظلمها النقاد ، أليس في استمراركم على التأليف
وإتيانكم بعد الآلة الآلة الأخرى ، واتحافكم الناس بمؤلف في أثر
مؤلف أقوى دليل على حسن استعدادكم ، وعلو كعبكم ؟

وبعد ، فهذه نصيحة أخرى ، وهي أن يؤلف من يؤلف منكم لأنه
مندفع إلى ذلك بعيل في نفسه لا لكي يطالع الناس منه على ما يدحونه
به ، فالأديب الصحيح من ألف لنفسه أولاً ، ولا تظنوا أنني سأجترى
من واجبات النقابة بالنصح لكم ، بل سأوجه بكم نحو نضال يجعل
المشايخ يطلبون عفو الشبان وهم جاثون خاضعون مذعنون ، وليس
في خطتي شيء عجيب ، فإني لن أفعل شيئاً أكثر مما يفعله نقباء
سائر النقابات ، فإني إذا ما حزبتكم أمر سأدعوكم إلى الاعتصاب
والأضراب عن التأليف والكتابة اضرباً تاماً ، فيعدل عند ذلك عن
الاقتراب من الأقلام كل من يكتب منكم في مجلة أو صحيفة ، أو
من يؤلف الكتب سواء أكان ممن يكتبون في الجذام في الفكاهة ؛
وإذا ما رأى بعضهم أن ذلك غير ممكن لتغلب شهوة الكتابة عليه
مهدأ له السبيل بأن نجعل في دار النقابة مطبعة ونجعل لها صحيفة
ونقصر قراءتها على أفراد النقابة أو أعضائها كما يقولون أحياناً ،
وعند ذلك يجد شيوخ الأدب أنفسهم عدداً ضئيلاً ، كما حدث
لأشراف رومة من قبلهم منذ قرون ، فلا يستطيعون أن يخرجوا
جريدة ولا مجلة ، ولا يجدون شيئاً ينتقدونه ويظهرون بنقده سيادتهم
فتقف دواليب أعمالهم ويعضون البنات أسفاً على احراجكم
واغضابكم ، ويأجبنهم الحرص على مصالحتهم إلى طلب الصفح وإلى
معاملتهم بالعدل والحق . حقاً قد يستريح الجمهور بضعة أيام من
القراءة ، غير أنه قد يستجيم في أثناء هذه الأيام قدرته على الاستقلال
في التفكير فيكون أقدر على أن يزن أقوال مشايخ الأدباء فيكم
وحكمهم عليكم ، وعند ذلك لا أتشد في مطالبي ، بل سأقتصر على
طلب واحد إلى مشايخ الأدباء ، وذلك أنهم إذا شاءوا نقد مؤلف أحدكم

بأسه وحيرته دون تفكير . وهاجت الأطفال وماجت عند ما رأت
وسطها الطائر الجميل ، واجتهدت في حصاره وإلقاء القبض عليه ،
فاستند هاج الطائر وقاوم مقاومة الأبطال ، ولكن آلام جرحه
اشتدت ، وازداد تخبطه وتكرر سقوطه ، وأخيراً وقع في الميدان
صريعاً ، فهجمت عليه الأعداء ، ولكن سرعان ما تراجع
ووقفت سهوثة صامتة مأخوذة برهبة الموت . . .

ولم يعلم الأطفال والكبار شيئاً عن سر دخول الطائر في
ظلام الليل ، ولو علموا سبب حيرته واضطرابه ، وأنه قاوم القدر
وأبى أن يهجع في غير العش الرؤوم اخلاصاً منه وولاء ، لنترت
عليه الزهور والرياحين ، ولشغل مكاناً من القلب أسمى من المكان
الذي يشغله آلاف الناس — الذين لا يتعصبون في الحياة لأمر ،
ولا يتطرفون في الغرام بشيء ، ولا يفضلون داراً على دار . . . بل
قد لا يحسون أن تعضى سعادة أوطان بأكلها . . . بينما يموت
طائر صغير شهيداً لوفاء للعش . . .

أسماء فرهمي

هل تريد مرتباً أكبر

ومركزاً أحسن من مركزك ؟

إن مدارس المراسلات المصرية تقدم لك أوسع فرصة لأن
تعوض كل ما فاتك من التعليم لتحسين مركزك وللحصول على
مرتب أكبر سواء من عملك الحالي أو من عمل إضافي إلى جانب
هذا العمل . والدراسة باللغة العربية وكل ما تحتاج إليه هو بعض
أوقات فراغك التي تقضيها في القهوة أو فيمالة يعود عليك بالفائدة
وأنت تستطيع أن تدرس وأنت في منزلك ولو كنت في الصين .
وعندنا أكثر من ثلاثمائة منهج تتفق منها ما يناسبك ، وهي
تشمل الابتدائية . الكفاءة . البكالوريا . الانتساب للجامعات
اللغات . الصحافة . تأليف الروايات . الشعر والزجل . الرسم
التجاري والكاريكاتور . القانون . الثقافة العامة . التجارة .
الهندسة . أي فرع من فروع الصناعة . تفصيل الملابس . الخ . الخ . الخ
كتاب طريق النجاح في أكثر من ١٠٠ صفحة يرسل إلى
كل من يطلبه بدون مقابل فقط عين المنهج الذي تريد دراسته
أذكر هذه المجلة واكتب باسم محمد فتى الجوهري مدير مدارس
المراسلات المصرية ١١ شارع سنجر السروري شارع فاروق —
القاهرة

الزهر ولا بوفرة الحطب ، ولا بالرح والتغريد . . .
ولكن طائر أجيراً يمتاز بقوة تغريده وشدة جبرأته ، ويتدفق
مرحه وسهوته ، أغربه أكوام الفصح الذهبية ترك ألوان الشجر
وكاد يقع في شرك الفلاح لولا أن أنقذته سرعة قفزه ، فنجأ بأعجوبة
بعد أن أصابه خدش في الجناح ، ولم يدرك الطائر لشدة فرحه بالنجاة
حقيقة ما أصابه إلا عندما حان ميعاد الرحيل للعش ، وناداه الرفاق
فرمى بجناحيه وقامت نفسه بشوة الحزين ، ودفع جناحيه محاولاً
أن يأخذ مكانه في مقدمة السرب ، ويكون كمادة أول من تضمه
أحضان الوكر . . وصاح صيحة الطرب ، واندفع إلى الأمام كالسهم ،
ولكن لم يلبث أن أخذ منه الجهد ، إذ اتسعت شقة الجرح . فترنح
في سيره ، وأخذ يدور حول نفسه ثم استسلم لجاذبية الأرض . .
وسرعان ما استحالت طيرانه إلى قفز . . ونظر أمامه فوجد السرب
قد توغل في الفضاء فدخله الحزن ، ولكن بقي لديه شيء من الأمل
الذي كانت تحمله إليه بقايا أسلاك الشمس الغاربة ، فصار يتعلق
بها كما يتعلق الفريق بالأعشاب الطافية على وجه اليم . . على أن
شعاع الأمل سرعان ما انطفأ مع أشعة الشمس ، وانتشر الظلام
في الأرجاء ، وتسربل الكون بحلة سوداء . . وانطأ السكين
لا يزال بعيداً عن العش ، بينما الطيور الأخرى كانت في تلك الآونة
تنعم بنفء الوكر وحنان الأهل ، وتستقبل الظلام في هدوء
واطمئنان ، والناس والماشية بلغوا مستقرهم ، والليل يهمس
حولها : نعم عقبى الدار . . .

أخذ الطائر الشريد يسير على غير هدى في دياجير الظلام
والياس — يرتطم بالجوائذ والجدران والأشجار . ويتمسر في
الوحل والشوك ، وقد كان في وسعه لو أراد أن يزوى في ركن
من الأركان ، أو يقضي الليل فوق غصن من الأغصان ، ولكنه لم
يشأ أن يتخذ من عشه بديلاً ، بل آثر الجهد والنصب آملاً أن
تسوقه الأقدار بعد طول السهاد إلى العش الوثير المحبوب . . .
واستحالت في نظره حيرة الفضاء إلى سجن قائم ، وجمال الشجر
إلى قبح دميم ، وولج النسيم إلى شواظ من نار . وأبى الطائر
فقد العش كل ما كان نعم به من لذة وممتعة وشدة طليقاً في
بهاء الصفاء والجمال . . .

وبقي على تلك الحال من اتقاق والاضطراب إلى أن قاده الحظ
العائر إلى كوخ فلاح يبعث منه نور ضئيل ، فاندفع إليه في ساعة

المدينة الهاجعة

للأستاذ خليل هنداوي

مهداة الى مدينتي الصغيرة الراقدة رقاداً عميقاً على
الشاطئ الأزرق . . . صيداء
خليل

خاطر أزعج نفسي بالله من خاطر
ماله من أول ماله من آخر

دعوا مدينة البحر تم هادئة ، فقد أرقبها بقطة الشاطئ ،
لا توقظوها اذا جاء الفجر . . . إنها نائمة .
نامت عن الأرزاء والشجون .
واستسلمت للأحلام الجميلة وأطبقت عليها الجفون .
من فاته في اليقظة الهناء
فليطلب النوم ، فليه شفاء
وليفر أحلامه بألوان الضياء
فتصبح الروح بها ناعمة
ألا لا توقظوها . . . إنها حالمة .

نامت في غابر الزمن على الشاطئ الأزرق نوماً عميقاً ،
وفي النوم تبدل المخاطرات ، وتغير الأرواح ،
إذ لا سكون في عالم الحركة ، ولا وقوف في عالم الضوضاء .
تبدلت مدينتي وهي راقدة ، وهبت فلم تر من آثار أخواتها إلا
أطلالاً بالية ، ورسوماً عافية .
فكنت بين مدائن غريبة حارة واقفة ، منية أهل الكهف بعد يقظتهم !
رجعت الى شاطئها الأزرق كما قفل أولئك الى كهفهم ،

لأن الحياة تنكرت لها ولهم
فنامت . . . ولا زال نائمة
لا توقظوها . . . إنها حالمة

يهوى على قلبي أسي منهم

أكتفه فسرأ فلا يكم
ألا أيها الأسي في أية جائعة تجعم ؟
لا حمر تقوى على أمرك
ولا غداة تقوى على قتلك . . .
أي أسي في روعي الساعة ؟

تذوقت أيها الغريب جمال الصحراء الذي لا تنتهي حدوده
لا تنتهي لها حدود ،

وفنيت مع طيورها ، وامتزجت مع ألوانها
وجريت مع (فرائها) الصامت ، ورتلت مع أطيافها ،
فمالك لم يشبعك جمال ، ولم تذهاك هذه الأشكال ؟

فيك وحشة من كل شيء ، لا يغلب عليها شيء ،
ولا تنير آفاقك المظلمة شمس ، ولا ينفذ اليها قمر
لأن في روحك وحشة من كل شيء . . .
لا الطبيعة تشبع نفسك ، ولا صيرها يسكر روحك .
لأن مدينتك الصغيرة بعيدة عنك . . .
وانس لم يكن لك في مدينتك — أيها الغبي — إلا الصخور
والأمواج ، فلمها استدعوك اليها .
لا حبيب في زواياها يناديك .
ولا صديق يناجيك .

الرمال التي تحسبها جامدة ميتة . . . الرمال التي كنت تعبت بها
طفلاً تناديك .
تناديك لتحضنك . . . هي ميت وحشتك ، وموئل ذكرياتك .
للصخور الصلدة روح ، وللأمواج المتقلبة روح
تحيا كلها في حنايا روحك
هي نائمة كهدينتك النائمة . . .
لا توقظوها . . . إنها نائمة

ترقد مدينتي الصغيرة في كل شيء أراء ، حتى في ذرات الرمال
وقزعات السحاب .

ورن صوتها في كل مبيت صوت ، حتى في وقع الأمطار
فإن الرن من وجوها ، وكيف أصم ليلي من صوتها ؟

دنيا الأدب

بقلم محمد قدرى لطفى

نيسانيه فى الآداب

وجال التكوين ، وتراه يوفى الزهرة حقها من الإعجاب والاطراء ،
ويبادلها حسنا بحسن ومتعة بمتعة . والمرء فى دنياه يتكلم فيما يشاء
بما يشاء ، وهو فى دنيا أدبه لا يتكلم إلا بما حرك شعوره وهز عاطفته ،
فاذا فعل فبا للفظ المختار وباللغى المنتقى ، والمرء فى دنياه حين يتكلم
لا يكاد يقع قوله إلا من نفوس قليلة مها تكثر فلن تخرج عن
الحصر ، ولن تفوق العد ، وهو فى دنيا الأدب يتكلم فيلتقى بمواطن
الجوع ويضرب على أوتار القلوب ، وقد ينتقل قوله من لغة إلى لغة
وينتشر حديثه من لسان إلى لسان ، فيفنى هو وما قال باقى على الدهر
خالداً على الأيام ، وقد يظل المرء فى دنياه من غير صاحب ، وقوله فى
دنيا الأدب يلقى الصحاب فى كل مكان ، ويتخذ سميراً فى الجماعات
أو خليلاً فى الوحشة ، أو مؤنساً فى الوحدة ، يصادف من كل قلب
مبتغاه ، ويلقى عند كل امرئ قبولاً ، ويقع من كل نفس موقع
البرء من السقام

ليست هى دنيانا ، فما ينبغى أن يكون هذا الأدب منها ، وليست
هى عالنا ، فما يجب لهذا الأدب أن يدخل فيه ، وإنما هى طبيعة
الأدب تأبى أن يكون من دنيانا فى شيء ، فان أكثر دنيانا قبيح ،
وأكثر الأدب جميل ، وعماد دنيانا الحقيقة وعماد دنيا الأدب
الخيال ، والعقل فى دنيانا عنصرها الأكبر ، والعاطفة فى دنيا الأدب
عنصرها الأول ، والمرء فى دنياه يرى بعينى رأسه ، ويرى فى دنيا
الأدب بعين قلبه ، وهو فى الدنيا مادي ، قد يحسك بالزهرة فيقطعها
فى غير رحمة إلتماس غيرها ، فيظل به حتى ينفد ، ثم يلقىها كأن لم
تبهره لحظة بجمالها ، ولم تنعشه برهة بأريجها ، وهو فى دنيا الأدب
روحي ، إذا أمسك بالزهرة فأنما يحسبها فى رفق ، وإذا التمس شذاها
فأنما يفعل فى حذر واحتياط ، حتى إذا أعجبه غيرها لم يقطعها
ولم يلقها ، وإنما تراه يستخلص من غيرها العليب بيتاً ينظمه ، أو
قصيدة ينشئها ، أو سطوراً يكتبها ، وتراه يفوص فى قرار المعانى
ويصعد إلى عنان اللغة ليسجل للخالق حسن الصنعة ودقة الخلق

ودنيانا محدودة وان ترامت حدودها ، مقيدة وان اتسعت
قيودها ، ودنيا الأدب لا تعرف الحد ولا تعرف القيد ، فالأدب يعيش
فى كل مكان ويحيا فى كل زمان ، يتناول كل شيء ، وقد يتخذ
لنفسه موضوعاً من الأشياء ، وليس توخى الجمال فيه ولا التزام أوجه
الحسن فى فنونه قيماً له ولا عيباً فى دنياه ، وإنما هو الجمال طبيعته
وعنصره ، ما أن يفقده حتى يخرج من دائرة الأدب إلى دائرة
الكلام البحت والحديث الصرف . فالشعر إن فقد الجمال كان نظماً
خسب ، لاهو بالشعر ولا هو بالنثر ، قد وقف بين الصناعتين
لا يدري أهو من هذه أم هو من تلك ، والنثر إن فقد طلاء البلاغة
لم يكن من الفن فى شيء ، وكما تغلو الأشياء فى دنيانا وترخص ،
يغلو الأدب فى دنياه ، وتنحط قيمته تبعاً لمقدار الجمال فيه ، وأكثر
موازن دنيانا الكم ، وميزان دنيا الأدب الكيف .

على أن دنيا الأدب وان كانت جمالاً كلها فليست نعيماً كلها ،
وان كانت إعجاباً كلها فليست تخلو من العجب ، فقد أقام البؤس
فيها إلى جانب الجمال ، وسكنت الفاقة فيها إلى جانب الحسن ، وكثيراً
ما تحالفا على غير فكاك ، وتوافقا على غير خلاف ، شأن دنيا
الأدب فى ذلك شأن دنيانا ، فانك لتجد فيها الوجه الجميل فى المسكن
الذليل ، وغالباً ما يلقاك الشرف الرفيع فى الكوخ الحقير .
وكثيراً ما تحمل السعادة حيث ترق الحال ، ويقم الهناء حيث
يحل الفقر .

وكل الأشياء التى نحميا فيها تحيا فينا .

هى حية فى نفسى . . . مدينتى الصغيرة

هى مبعث وحشتى فى هذه الحياة الغريبة .

هى التى تجذبني اليها وتغم فوق رأسي فى غربتي كالسحابة السوداء ،
وهى مجمع ذكرياتي التى تصطف للقاءى فى كل زاوية من زواياها ،
وفى كل ثنية من ثناياها

سأحاول أن أنسى . . . وسيساعدنى الزمان على النسيان ،
وأية ذكرى وأية خطرة تستطيع أن تثبت أمام سلطان الأزمان ؟
لكن شاطنات الأزرق الجميل . . شاطنك الذى امتزج دمه بدمى ،
وخفق قلبه فى قلبى ، أئنى لى أن أنساه ؟ . .

هو كالقطرة التى تنعكس فيها كل السموات والنجوم . . .

ألا هنيئاً للجالس على شاطنك الأزرق فانه مالك كل شيء .

صبياء

صبياء

٨- أعيان القرن الرابع عشر

للعلامة المغفور له أحمد باشا تيمور

الشيخ مصطفى السطى

مصطفى السطى بن مصطفى الفاكهاني السطى بن على السطى ابن أحمد شلبي ، نسبة الى سبط القطايا ، ولد بمصر القاهرة حوالى سنة ١٢٥٠ ، وأرسل الى المكتب فى السابعة من سنه ، ثم تنقل من مكتب لآخر حتى حفظ القرآن الكريم ، واشتغل بتجويده فى الأزهر ، ثم شرع فى طلب العلم على شيوخ عصره ، فقرأ الكفراوى على أحد العلماء المبتدئين فى التدريس ، فكان يحفظ العبارات ولا يفقه لها معنى ، ولما أعني عليه أمره ، وتعدّر عليه إعراب أمثلة من غير هذا الكتاب أعاد قراءته ، ولكنه لم يستفد شيئاً . وكان بجوار داره دار السيد أحمد البقل أحد المدرسين بالمدارس ، وله ولد أراد أن يقرأ القرآن مع المترجم ، فشكا المترجم له من تعسر النحو عليه ، فأشار عليه بشراء متن الأجرومية وأمره بحفظه ، ثم شرع فى إعرابه له على الطريقة الأزهرية ، فلم يستفد شيئاً أيضاً ؛ وشكا من ذلك للشيخ محمد الدمنهورى ، فأمره بترك طلب النحو كلية حتى ينسى ما علق بذهنه منه ، ففعل واقتصر على الفقه ، فحضر ابن قاسم على الشيخ البيجورى ، وكان يفهمه بخلاف النحو ، فالت نفسه اليه فحضره مرة ثانية على الشيخ فتوح البيجورى ، ثم مرة ثالثة على الشيخ عبد الرحمن القباني أحد تلاميذ الشيخ فتوح المذكور ، وكان يطالعه لانهوانه المبتدئين .

ثم قرأ الكتب المتداولة بالأزهر ، ولم تفتقر نفسه عن طلب النحو على ما لاقاه فيه من الصعوبة ، فصار يتردد على الشيخ محمد الدمنهورى ومعه متن الأجرومية فقط ، وصار الشيخ يقول له اقرأ هذه الجملة ثم تفهم معناها بنفسك ولا تنظر لأقوال الشراح ، فيفعل ، فتارة كان يخطئ وتارة يصيب ، وسهل عليه فهم هذا العلم بهذه الطريقة ؛ وكان أحد أصحابه مبتلى بمثل ما ابتلى به ،

ودنيا الأدب لا آخرة بعدها ، ولا إمهال فيها ، وإنما يأتى صاحب الأدب فيها حساباً سريعاً فيجوزى به أو يعاقب عليه ، فما هو إلا أن يظهر أهل دنياه على مآتى من عمل فنى حتى يتولاه النقاد من قومه بالحساب ، يحاسبونه حساباً فيه يسر حيناً ، وكله عسر أحياناً ، وحساب أهل الأدب على عسره ليس يخلو من عجب ، فلا الخير فيه خير بالاجماع ، ولا الشر فيه شر بالاجماع ، وإنما الخير عند زيد شر لدى عمرو ، والشر يراه هذا خيراً ، والخير فى عرف ذاك شر ، قد تفاوتت الموازين ، وتباينت المكييل ، وليت شعري متى يشاء ملائكة النقد أن يكون لدنيا الأدب ميزان يزن به الجميع ، وكيل يكيل به الجميع . فقد خلق الناقدون وكل معه ميزانه ، وكل فى يده كيلة ، فاختلفت أحكامهم على العمل الفنى الواحد ، وتعددت أقوالهم فى انتاج الأديب الواحد ، ولعل دنيا الأدب لم تظلم صاحب الأدب حين أباحت له حرية الدفاع عن آثاره الأدبية والرد على محاسبيه ، والتماس الحق لجانبه . ومن غريب دنيا الأدب أنها تبيح حساب المرء حياً وميتاً ، فيتناول النقاد سيرته بالتحليل ويتولون حياته بالتمحيص ، ويظهرون الناس على أقواله إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، وانك لتجد الشاعر أو الناثر قد فارق دنياه منذ قرون ، وأسدت السنون عليه وعلى قومه حججاً من النسيان ، ومع ذلك فهو فى دنيا الأدب حى مذكور لا يزال النقاد يحاسبونه على شعر قرضه ، أو نثر كتبه ، أو قصة حاك أطرافها ، ولا يكتفون من ذلك بالمئات من المرات .

ومما يحاسب المرء عليه فى دنيا الأدب عدا الأجادة فى الفن أو التقصير فيه ما قد يرتكبه من سرقة لثمار العقول أو نتاج العواطف فينتحل لنفسه ما ليس له . غير أن الحساب على هذا الذنب ليس كما ينبغي له من العسر والشدة ، وليس كما يتفق مع خطره من القسوة والقوة ، وإنما هو مباح أو كالمباح حتى خشيت دنيانا هذه الأباحة من دنيا الأدب ، وخافت على أهلها من دعاة الأدب أن يبيحوا فيها ما ليس الى إباحته من سبيل ، فأفسحت صدرها لمن يلجأ اليها من دنيا الأدب ، شاكياً ما استحل الغير من ثمرات قريحته ووجس خاطره غمته بتشريعها ، وأحاطته بسياس من قانونها .

وفى دنيا الأدب من المفارقات العجيبة والسير الطريفة ما لا تتسع له الصفحات ، فكيف يقوى كاتب على دنيا بأكلها يحصى ما فيها ويمدد ما فيها ما

محمد قمرى لطفى

والدم والمدح إن ضنوا وإن سمحوا
وليس لي مطمع في الناس يا جثنى
وأسأل الله حاجاتي فيمنحني
وله :

قد يسر الله أسباب المعاش لنا
ليعلم العبد أن الله يرزق من
فيطلب الرزق بالأسباب معتمداً
ولا يخاف ولا يرجو سواه ولا
وكان رحمه الله طيب الخلق ، حسن المعاشرة ، اعتكف في
داره بعد فصله من المدارس على الاشتغال بالعبادة ومذاكرة العلم
مع بعض من يسمر معهم من اخوانه وأخلائه ، أو استقلالاً
بنفسه ، وكان في مبتدا أمره مولعاً بالسمع ، وتشبث بتعلم الموسيقى ،
فلازم الشيخ محمد شهاب الدين الشاعر المشهور ، وكان متقناً لها ،
فأخذها عنه وأتقنها ، ولكثرة مطالعته لكتب الأدب صارت له
ملكة أدبية ، ومعرفة بجيد الشعر ونقده . ثم ما زال على هذه
الحالة المحمودة حتى أرققه الكبر وضعف عن المشي ، فلزم داره
لا يخرج منها إلا لصلاة الجمعة في أقرب مسجد إليه ، ومع ذلك
فلا يبلغه إلا بمسقة زائدة . وتوفاه الله إلى رحمته في يوم الثلاثاء
٢١ رمضان سنة ١٣٢٧ .

الشيخ أحمد أبو خطوة

الحنفي

أحمد بن أحمد بن محمد بن حسب الله بن علي بن محمد بن علي
ابن مذكور بن أبي خطوة المدفون في مطوبس ابن مذكور بن
شكر بن هاشم بن محمد وهو أول من نزل بكفر ربيع منهم ودفن به ،
ابن سالم المدفون بالحدادين بالبحيرة ، ابن موسى بن حسن بن أحمد
ابن علي بن شكر بن إبراهيم بن أحمد بن شاكر بن حسن بن علي
ابن محمد بن علي ابن السيد عبد الرحيم القناني صاحب الضريح
المشهور بقنا ابن هريدي بن جعفر بن حماد بن سعادة بن عبد
اللطيف القاسم بن عبد الله بن عبد اللطيف بن هاشم بن عبد الجواد
ابن محمد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد
الباقر بن علي زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام علي بن أبي
طالب . هكذا أملي على نسبه من لفظه . . . ولد في ٢٠ ذي القعدة
سنة ١٢٦٨ ببلدة كفر ربيع التابعة لتلا من أعمال المنوفية ونشأ

وأخبره أن عند علي أفندي العروسي شرحاً للرملي على الآجرومية ،
فاستعاره منه وقرأه معاً ، فكانا يفهمان ما فيه فهماً جيداً . ثم
اجتمع المترجم بانسان كفيف البصر اسمه الشيخ علي الفيومي ، له
بإع في العربية ، فقرأ عليه مع صاحبه كتاب الشيخ خالد
والأزهري ، والقطر ، وابن عقيل ، ثم أعاد المترجم القطر على الشيخ
السبيني بالأزهر ، وقرأ الخطيب على الشيخ علي الأشموني عم الشيخ
الشيخ محمد الأشموني الشهير ، وقرأ التحرير والمنهج على الشيخ
مصطفى الملقط ، وهو آخر حضوره في الفقه . ثم قرأ علوم البلاغة
بالأزهر ، والعروض مع إعادة البيان بالطالعة مع بعض تلاميذ
رفاعة بك : كقذري باشا وإبراهيم بك مرزوق . وبعد ذلك
انتخب مدرساً بالمدرسة التجهيزية سنة ١٢٩٠ في أول نظارة
رياض باشا على المعارف ، وكانوا إذ ذاك يقرأون بها الأنموذج
للزحشرى في النحو ، ثم كلف بتأليف رسالة في الصرف
ف فعل ، وقرأها للتلاميذ نحو ثلاث سنوات ، ثم اتفق مع بعض
المدرسين على تأليف رسائل في البلاغة والصرف بتوسيع أبسط
من الرسالة الأولى ، وقرأ بها سنوات ، ثم أمر بقراءة العروض
والقوافي في المدارس ، فاستحسن رسالة أبي الجيش وأقرأها ، ثم
وضع رسالة في العروض والقوافي أتم بها ما أراد أبو الجيش ،
ولكن وقع ما منعه من تقديمها للمدارس ، ثم كلف بوضع رسالة
في علم الرسم ، فوضع رسالته « عنوان النجاة في قواعد الكتابة »
وقرئت بالمدارس .

وتقل بعد ذلك للمدرسة الابتدائية المسماة (بالمبتديان) ، وكان
ذلك سنة ١٣٠٦ ، فألف بها رسالة بالاشتراك مع غيره في المترادفات ،
ثم نقل إلى المدرسة السنية الخاصة بتعليم البنات ، فبقي بها سنتين
ألف فيها رسالته « محاسن الأعمال » ، ولما عرضت على المجلس
العالي بنظارة المعارف استحسناها أعضاؤه جداً وقالوا : الأولى أن
تكون بيد المعلمات لا بيد المتعلمات . ثم أخذت قوته في الوهن ،
وبصره في الضعف لكبر السن ، فعرض استقالته على النظارة
مبنيًا السبب . فأحيل على الكشف الطبي ، ثم أحيل على المعاش .
وله من التأليف غير ما تقدم رسالة في الصرف اسمها « قرّة الطرف »
أوسع من المقدمة . وأخرى في النحو وهي « منحة الوهاب في
قواعد الأعراب » ، وهي نظم . ومن شعره :
الحمد لله لا فقر يضرب ولا غنى يغتر فلا حزن ولا فرح

الكبرى بالقاهرة ورأس المجلس العلمى للنظم والفنن فى القضاء الكبرى ، ثم انتدب للمحكمة العليا بعد ذلك فكانت له اليد الطولى فى إصلاحها ومنع شهادات الزور وإصلاح حال المحامين ، وكانت وفاته فى شوال سنة ١٣٢٤ .

حسن افندى عبد الباسط

الحوى

كان خلاسى اللون يشبه الحبش ، وبوجهه أثر جدري ، وكان أديباً شاعراً هجاء ، خبيث اللسان مجيداً ، إلا أنه مقل ، استخدم بالاسكندرية فكان رئيس قلم فى الضبطية حوالى سنة ١٢٨٥ ، وبقي بها الى سنة ١٢٩٠ ، وكان بها إذ ذاك مصطفى صبحى باشا الشاعر المشهور ، فكان يجتمع به من بها من الأدباء والشعراء ، فيسمرون معاً ويحيون الليالى بالذاكرة وإنشاد الشعر ، واتفقوا على تسمية مجلسهم بالمرئىد ، وألا يقبلوا به أحداً إلا إذا ارتضوا به جميعاً ، فكان المترجم ممن رضوا به أن يكون من شعراء المرئىد ، وكانت تمر عليهم ليال يقرحون فيها ارتجال الشعر ، ويعينون عدد الأبيات والوقت الذى يجب نظمها فيه ، فكان أحدهم إذا تعذرت عليه قافية وأعجله الوقت ارتجل كلمة لا معنى لها ، أو لها معنى لا يوافق السياق وتمم بها البيت ، فاجتمعت لهم من ذلك ألفاظ غريبة مضحكة سموها بالألفاظ المرئية .

ثم تنقلت الحال بالمترجم فاستخدم معاوناً بمديرية الشرقية ، ثم فصل فضايق به العيش وفتح خانوتاً بالرقازيق للصيدلة القديمة ، المسماة فى العرف الآن بالمطارة ؛ وكان أمره بها عجيباً ، فانه اقتنى كتباً من مفردات الطب وقانون ابن سينا ، وصار إذا طلب منه أحدهم بيع عقار من العقاقير ، سألته عن سبب حاجته اليه وقام الى تلك الكتب فاستخرج له منها منارياه وما يداوى به من العلل ، وبقي مدة على ذلك حتى توفاه الله بعد سنة ١٣٠٠ .

ومن شعره يمدح محمداً فتح الباب افندى كبير كتاب ديوان البحر :

رأيت العلا ترناد بعلاً لنفسها وقد خطبتها قبل ذاك الأوائل
فقمنا سراعاً قاصدين لحدرها عساها بنا رضى ويحل التواصل
فلما رأتنا واقفين بيابها أشارت لفتح الباب منها أنامل
وكان رحمه الله على خبيث لسانه طرفه من الطرف ، وأجوده

بها ، حفظ القرآن وبعض التون ، ثم سافر للقاهرة لطلب العلم بالأزهر فى ١٦ شوال سنة ١٢٨١ واشتغل فيه بالطلب وقراءة الفقه على مذهب الامام الأعظم . ومن شيوخه الشيخ محمد البسيونى البيبانى ، والشيخ أحمد الرفاعى الفيوى ، والشيخ عبد الرحمن البحراوى ، والشيخ عبد الله الدرستوى ، والشيخ حسن الطويل

وكان أكثر اشتغاله فى العقول على الشيخ حسن الطويل ولازم صحبتته وتخلق بأخلاقه ، وقرأ عليه بداره العلوم الحكيمية والرياضية فتلقى عنه شرح الهداية للميبدى ، والطوابع ، وأكثر المقاصد والمواقف ، وإشارات ابن سينا بالشروح لنصير الدين الطوسى ، والامام الرازى ، والمحجمات ، وبعض كتاب النجاة لابن سينا ، وأشكال التأسيس بشروحها فى الهندسة ، وتحرير أقليدس ، وفى الهيئة شرح الجفميين ، وتذكرة نصير الدين الطوسى ، وفى الحساب خلاصة بهاء الدين العاملى بشرح البورصاوى ، والمعونة وشرح ابن الهائم وغيرها ، وفى المنطق القطب بحواشيه والمطالع والخبيصى وايساغوجى وغير ذلك من هذه العلوم .

وامتحن للعالية والتدريس فى ١٨ صفر سنة ١٢٩٣ وكان مجلس الامتحان مكوناً من الشيخ عبد الرحمن البحراوى والشيخ عبد القادر الرفاعى الحنفيين ، والشيخ أحمد شرف الدين المرصنى والشيخ زين المرصنى الشافعيين ، والشيخ احمد الرفاعى والشيخ أحمد الجيزاوى المالكيين ، برئاسة شيخ الأزهر ومفتى الديار المصرية الشيخ محمد المهدي العباسى ، فلما امتحنوه أعجبوا به إعجاباً شديداً لجودة تحصيله وشدة ذكائه فأجازوه ، إلا أنه آخر التدريس لسبب اشتغاله بتتميم ما كان يقرؤه على شيخه الطويل ثم ابتدأ فى القراءة بالأزهر سنة ١٢٩٦ فقرأ به الكتب المتداولة به وغيرها ، وتخرج عليه جمع من الأفاضل منهم السيد محمد شاكر ، والشيخ محمد حسنين العدوى ، والشيخ محمد بخاقى ، والشيخ سعيد الموجى ، والشيخ محمد الغرينى ، والشيخ مصطفى سلطان وغيرهم .

ثم جعل مفتياً لديوان الأوقاف فكانت له اليد الطولى فى إصلاحه وعاون من به على تحسين أموره بجودة عقل وحسن رأي ، وحسبك أنه دخل وإيراده مائة وعشرون ألف دينار وخرج منه وإيراده يربو على المائتين . ثم تقل عضواً فى المحكمة الشرعية

قد وخطه الشيب ، ومات بعدما تجاوز الستين ، رحمه الله تعالى .

الشيخ مصطفى سلامة

النجاري

توفي والده وهو صغير ، فتكفل به زوج أمه ورباه ، فلما ترعرع مال للأدب ، وقرض الشعر ، فاتصل بالشيخ علي الدرويش ، وتخرج عليه في النظم ، واتصل بعد ذلك بأسرة المويالي ، ففتحوا له خانوتاً بالتربعة لبيع الحرير فلم يصادفه النجاح ، ثم جعل منشئاً بالوقائع المصرية ، ولم يزل يكافح زمنه حتى اتصل بوالى مصر سعيد باشا ، وصار شاعره وتقرب اليه ونال جوائز ، فحسنت حاله ، واجتمع بأكابر الدولة ومدحهم وداخلهم فنال وجاهة وصار له شأن يذكر ، وجمع ما نظمته في مدح سعيد باشا في ديوان خاص ، وهو الذى جمع ديوان أستاذه الدرويش وسماه الاشعار بحميد الاشعار .

من العجائب : في حسن النادرة وحضور الذهن وسرعة الجواب ؛ رآه مرة بعضهم وهو مسافر الى الزقازيق في القطار ومعه جراب يحمله بيده ، فقال له مداعباً : أظن هذا جراب الحواى ، أى للشعب . فقال لا ياسيدي ، هذا جراب الحواى !

ابراهيم بك مرزوق

الشاعر

تلقى العلم بمدرسة الألسن ، وتخرج على ناظرها رفاة بك رافع الشهير ، فقرأ بهذه المدرسة النحو والصرف وبقى علومها ، وبرع في الفرنسية . وكان لرفاعة عناية خاصة في تلقين تلاميذه العربية والعلوم الأدبية ، وتدريبهم على نظم الشعر ، فكان للمترجم حظ من هذه الصناعة ، فنظم الشعر الجيد من المقطعات والقصائد ، اعتنى بجمعها بعده محمد سعيد بك ابن جعفر مظهر باشا

سنة ١٢٨٧ في ديوان سماه « الدر البهى المنسوق » ، بديوان ابراهيم بك مرزوق » وطبع بمصر .

ولما أتم المترجم علومه بالمدرسة استخدم في ديوان كان يقال له (ديوان المهرجانات) وهو خاص ببيع الخيل والمنشية التابعة للحكومة ، ثم نقل منه للقلم الافرنجى بالضبطية ، وفصل منه مدة عبده باشا ضابط مصر ، ثم عاد اليه بعد نحو ثلاث سنوات ، وكان مدة توليه لهذا القلم كثير المعاكسة للافرنج إذا وقع أحدهم في سجن الضبطية ، أو كانت له دعوى بها ، فلما كان يسلم من أذاته ، حتى ضج منه وكلاء الدول وأكثروا من الشكوى ، فلم يكن يثبت عليه شئ عند التحقيق ، والسبب في ذلك أنه كان يعتمد على إخوانه ومراءوسيه بالضبطية على إيصال الأذى اليهم سرّاً ، لسكينة بهم لطفيانهم على الرعية ، وتدرعهم بدروع الحماية .

وفي مدة وكالة اسماعيل باشا الخديو نقل المترجم معاوناً لمجلس الأحكام ، ثم لما تولى هذا الخديو على مصر أرسله ناظراً للقلم الافرنجى بالخرطوم قاعدة بلاد السودان ، فبقى الى أن توفي بها سنة ١٢٨٣ . وكان مربوع القامة . أبيض اللون .

شركة مصر

للغزل والنسيج

تصدر منتجات خامها

مبلغ ٣٥٠٠٠٠ جنية مصرى موزعة على ١٧٥٠٠ سند

قيمة كل منها ٢٠ جنيهاً مصرياً

فائدتها ٥ ٪ من القيمة الاسمية

الاكتتاب

يبدأ يوم ١٦ يولية سنة ١٩٣٤

وينتهى يوم ١٥ سبتمبر سنة ١٩٣٤

تقدم طلبات الاكتتاب لبنك مصر وفروعه

والفلسفة . وما يقال من هؤلاء يقال عن غيرهم .

مقدمته :

والآن . . . نعود الى الكندي فنقول : قل من يجهل أن يعقوب الكندي من أشهر فلاسفة الاسلام ، ولكن قل من يعرف أيضاً أن له فضلاً على العلوم الرياضية والفلكية إذ كان من الذين امتازت مواهبهم في نواحيها العديدة ، ومن أوائل الذين اشتغلوا وألفوا في العلوم الدخيلة . يقول كتاب التمدن الاسلامي « . . فبعد أن كان العرب في صدر الاسلام يستنكفون من الاشتغال حتى في العلوم الاسلامية . . أصبحوا لا يستنكفون من الاشتغال حتى في العلوم الفلسفية الدخيلة ، وأول من اشتغل فيها أبناء ملوكهم . . » كان الكندي عالماً بالطب والفلسفة والحساب والهندسة والمنطق وعلم النجوم ، وتأليف اللحن ، وطبائع الأعداد . وهو يمت بالنسب الى أحد الملوك العرب ، وكان أبوه أميراً على الكوفة (محل ولادته) . وقد وُلد في بداية القرن التاسع للميلاد ولم يتمكن أن نعثر بالضبط على تاريخ ولادته . أما تاريخ وفاته فيرجح أنه في أواخر القرن التاسع .

درس الكندي في بادىء أمره في البصرة ثم أتم تحصيله على أشهر العلماء ، هذه الفرض التي لم تكن تسنح لغيره ، واستعداده الفطري واستغلاته لكل ذلك أوجد له مكاناً ذا حرمة واعتبار عند خلفاء بني العباس حتى أن الخليفة المأمون انتخبه ليكون أحد الذين يُعهد اليهم ترجمة مؤلفات أرسطو وغيره من حكماء اليونان . ولم يخل الكندي من أناس يناصبونه العداوة إما حسداً وإما غير ذلك كالقاضي صاعد بن احمد القرطبي ، وأبي معشر جعفر بن محمد البلخي ويُقال إن هذا الأخير كثيراً ما كان يشاغب عليه ويشنع بحجة أخذه بعلوم الفلاسفة ، وقد تمكن الكندي مرة بثاقب نظره أن يتخلص منه ، وذلك بأن بعث من حسن له النظر في الرياضيات وفعلاً اشتغل أبو معشر بها زمناً ، ولكنه لم يوفق ، فعُدل عنها الى علم النجوم ، وقد وجد فيه لذة فعكف عليه وأحب من يشتغل فيه وأصبح من أصحاب الكندي ومن المعجبين بعلمه ونبوغه

آثاره :

والكندي أول من احتذى حذو أرسطو طاليس ، كان ملماً بحكمة الهند ، فسر كثيراً من كتب الفلسفة ووضع بعض النظريات الفلسفية في قالب مفهوم حتى أن كتبه في المنطق وغيره لقيت إقبالاً عظيماً ، « وله رسائل ومؤلفات في علوم شتى

الكندي

« هو من الالفى عشر عشرين الذين ظهروا في العالم »
كاروانو

للأستاذ قدرى حافظ طوقان

مقدمته :

ليس أصعب على الباحث من الكتابة عن حياة عالم لم يُعطه التاريخ حقه من البحث والاستقصاء ، ويزيد في الصعوبة التشويه الذى نجده في حياة كثيرين من علماء العرب والمسلمين . فكم من حقائق لم تذكر ، وكم من حوادث أخذت على غير حقيقتها ، فكم من فهمها ، وكم من اختراع للعرب تُنسب لغيرهم ، وكم من تلاعب طراً على التراث الإسلامى فجعل كثيرين من شباننا يشكون في مجد أمتهن ومدنيتها وقابليتها على الإنتاج . ومن الغريب أن تجد بعض علماء الفرنجة (لبقين) في الكتابة عن نوابغ العرب ، فيصنّعون شخصيات عربية وإسلامية لعت في نواح عديدة من المعرفة ، ومن الطبيعي أن يختلف اللعان ، فيصنّعون آراء شديدة في فروع ، تراه في الأخرى وفي الوقت نفسه غير شديدة . ويأخذ بعض الإفرنج النواحي الشديدة اللعان ويذكرونها ويهملون النواحي الأخرى إهمالاً كلياً لا يعيرونها أى اهتمام ولا يأتون على ذكرها . ولا شك أن في هذا إجحافاً لا يستسيغه عقل ولا يقبله منطق ، وعلينا أن نعمل جهدنا لنظهر هذه ونعطها حقه من التنقيب والبحث . خذنا سينا (مثلاً) فقد اشتهر في الطب والفلسفة ، وقليلون جداً الذين يعرفون أنه كان رياضياً وطبيعياً ، وأن له في كل هذه مجالات وآراء سديدة قيمة ، فلقد أفاد الفيزياء بحيوته المبتكرة فيها ، كما أنه استطاع أن يقدم خدمات جليلة لبعض الفروع من العلوم الرياضية . وإذا اطلعت على ترجمة حياة ابن يونس في دائرة المعارف الاسلامية تجد أن كاتب الترجمة (H. suter) قد وفي حق ابن يونس في نواح ولم يوفها في نواح أخرى فلقد جهل أو نسي أو تناسى (لأدرى) أن يذكر أن الرقص (بندول الساعة) هو من اخترع ابن يونس وتأليف الرقص والفوائد التي كتبها الدينية منه . ولا أكون صافياً إذا قلت له يندر أن تجد واحداً يعرف أن عمر الخيام كان من كبار رياضيين زمانه ومن عظماء فلكي عصره ، فلقد قدم خدمات حقيقية للرياضيات والفلك لا تقل عن خدماته للشمس

القرون الوسطى أضاعوا معظم أوقاتهم في الكيمياء للحصول على الذهب ، وله مؤلفات في المراتب والبصريات وقد وضع كثيراً من نظرياتها في قالب رياضي ، وكان لبحوثه هذه تأثير كبير على دراسات باكون^(١) وواتيل ، وكتب في الموسيقى وأعطى طرقاً لأيجاد التردد .

مؤلفاته :

وللكندي مآثر جمة تظهر في أكثر العلوم بل تكاد تسجلها كلها فقد ألف في الفلسفة وعلم السياسة والمنطق والحساب والكريات والموسيقى والنجوميات والهندسة والفلك والطب والاحكاميات والمجديات والنفسيات والاحداثيات والابعاديات والتقدميات ، كل هذه وغيرها مذكورة في كتاب الفهرست لابن النديم ، وتربو على ٢٣٠ كتاباً ، وله فوق ذلك رسائل في علم المعادن وأنواع الجواهر والأشياء وفي أنواع الحديد والسيوف وجيدها ووضع انتسابها . أما تأليفه في الرياضيات والفلك فاهمها رسالة في المدخل الى الارتماطيقى خمس مقالات ، كتاب في استعمال الهندي أربع مقالات ، رسالة في تأليف الأعداد ، ، رسالة في تسطيح الكرة ، رسالة في علل الأوضاع النجومية ، كتاب في أغراض كتاب أقليدس ، كتاب في تقريب قول ارشيدس في قدر قطر الدائرة من محيطها ، رسالة في تقسيم المثلث والمربع وعملها ، كتاب في كيفية عمل دائرة مساوية لسطح اسطوانة مفروضة ، رسالة في قسمة الدائرة ثلاثة أقسام ، رسالة في صنعة الاسطرلاب بالهندسة ، رسالة في ظاهريات الفلك ، رسالة في استخراج بعد مركز القمر من الأرض ، رسالة في استخراج آلة وعملها يستخرج بها ابعاد الاجرام ، رسالة في الحيل العددية وعلم اضرارها ، و . . الخ

تلاميذه :

وقد أخذ عن الكندي طلاب كثيرون منهم أبو العباس ابن محمد بن مروان السرخسي ، وكان متفتناً في علوم كثيرة من علوم القدماء والعرب ، قرأ على الكندي وعنه أخذ ، اشتهر في الفلسفة والطب وكان موضع سر المعتضد ، وكذلك أبو زيد أحمد ابن سهل البلخي فقد أخذ عن الكندي ، وكان له مقام رفيع ، ودعى جاحظ خراسان . ومن تلاميذه أيضاً حسنويه ونفطويه وسلمويه وغيرهم كثيرون .

نابلس

فرى حافظ طوقان

نفقت عند الناس نفاقاً عجيباً ، وأقبلوا عليها اقبالاً مدهشاً »^(١) هذا وغيره اوجد له في قلوب معاصريه حسداً فنقموا عليه وحاولوا صراخاً التيل منه ، وأن يوقعوا بينه وبين الخليفة فنجحوا في ذلك ، ولكن إلى زمن لم يطل أمده .

كان الكندي مهندساً قديراً كما كان طبيباً حاذقاً وفيلسوفاً عظيماً ومنهجاً ماهراً ، وقد ترك آثاراً كباراً جلية جعلت العالم الإيطالي « كاردانو » يعده من بين الاثني عشر عبقرية الذين هم من أهل الحضارة الأولى في الذكاء ، وجعلت أيضاً « باكون » الشهير يقول « إن الكندي والحسن بن الهيثم في الصف الأول مع بطليموس » ويقول كتاب (آثار باقية) « إن الكندي أول من حاز لقب فيلسوف الاسلام . » وكان يرجع إلى مؤلفاته ونظرياته عند القيام بأعمال بنائية كما حدث عند حفر الأقنية بين دجلة والفرات . وعلى ذكر الأقنية يقال إنه كان في بلاط المتوكل أخوان اشتهرا بالهندسة والأعمال التطبيقية ، وهما محمد وأحمد ابنا موسى بن شاكر ، وكان يحز عليهما أن يظهر غيرها بمظهر الماهر المتفوق ، وبذلك لم يتركا فرصة للتيل من كل من عرف بالمعرفة والتفوق في علم من العلوم ، ومن الطبيعي أنه لم يكن يروق لهما أن يسمعا عن الكندي وفضله ، سيما وأنه ذو مركز عظيم في البلاط فسمعيا في الوشاية عليه ، وكان لهما ما أرادا في بادئ الأمر ، واستطاعا أن يجعلوا الخليفة يأمر بمصادرة مؤلفاته وكتبه . وكان يقال إن مراد ابن موسى من المصادرة هو أن يستفيدا من مراجعة الكتب في حفر القناة الجعفرية ، ولكنهما فشلا في إنشائها فاستدعيا المهندس الشهير سند ابن علي لحل بعض المضلات التي وجدها عند حفر القناة ، فوعده بمحلبها وبمساعدها على شريطة أن يرجعا للكندي كل كتبه ، وأن يسعيا لدى ولي الأمر في العفو عنه وفي ازالة ما أوجده من فتور وسوء تفاهم .

وقال الكندي باحكام النجوم ، وكان يرجع بعض الظاهرات والحوادث الى أسباب فلكية فيستمد من أوضاع النجوم وحركاتها بعض التنبؤات . فيقال إنه نهى عن الاشتغال بالكيمياء للحصول على الذهب ، وقال إن في ذلك تضییعاً للوقت والمال ، وقد ألف في هذا الموضوع رسالة سماها « رسالة في بطلان دعوى المدعين صنعة الذهب والفضة وخذعهم » . وقد اقدت رسالته هذه بعض معاصريه والذين أتوا بعده ، إذ لا يخفى أن كثيراً من علماء

مِنْ طَرَائِفِ الشِّعْرِ

فرحة الألم

لشاعر الشباب السورى أنور العطار

فَقُلْتُ لَهُ خَاؤُكَ الْبُكَاءُ وَلَا تَجْزَعَنَّ إِنْ قَلْبِي صَنَحَ
إِذَا مِنْ أَحَبِّ جَزَأَى الصُّدُودِ هَتَفْتُ عَمَّا لَلَّهِ سَمَا الْجَرَحَ

... صَوْتٌ فَلَا طَيْفٌ يَخْنُو عَلَى وَلَا نِعْمٌ تُشْتَهَى أَوْ مَنَحَ
وَعُدْتُ إِلَى وَحْدَتِي رَاضِيًا أَرَى فِي الْأَمْسَى غَايَةَ الْمُقَرَّحِ

أنور العطار

يقظة الهوى

تعالى قد سجا الليلُ ونام الدوح والطيرُ
تعالى قد حلا الوصل وطاب السهد والسرور
تعالى ضاحكى البدر
تعالى نالحي الزهرا

تعالى طارحي الجدول نشيد الأعصر الداوى
تعالى ترشف السلسل ونروى روحنا الداوى
شجنتى رنة العود وصوت الناي أغرى بي
تعالى أنت معبودى وهذا الروض مخرابى
تعالى فجرى قلبى
ينابيع من الحب

تعالى عطرى النرجس يعطر الورد والشوق
تعالى نورى الخندس بنور الحب والعشق
أيا ليل ألا أملهى معنى فيك ذا ماربى
وقل للمصح لا يقل وقل للنجم لا يقرب
هلى نعمة الورد
هلى ملكة الخلد

هلى قبل أن يحنو ويمضى الليل والبدر
هلى فالهوى ينفو إذا ما استيقظ الفجر
البصرة قنطرة العرب

لَقَدْ صَاغَنِي اللَّهُ جَمَّ الشُّجُونِ وَيَأْنِي قُودِي إِلَّا لَمَرَحِ
يُبَدُّ أَحْزَانِ قَلْبِي الرَّجَاءِ وَيَمْحُو صَفَائِي طُولَ التَّرَحِ
أَهْدَهُدُ أَوْجَاعِي الصَّارِخَاتِ وَأَرْقِدُهَا بِالْمُنَى وَالْمَلَحِ
سَكِرْتُ مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى انْتَشَيْتُ فَلَسْتُ أَبَالِي بِخَمْرِ الْقَدَحِ
كَأَنِّي أَخُو سَفَرٍ لَا غِبِ تَهَالِكَ مِنْ جَهْدِهِ وَارْتَنَحِ
فَطُوبَى لِيَجْرِحَنِي إِمَّا اسْتَفَاضَ وَطُوبَى لِقَلْبِي إِمَّا انْجَرَحَ
تَعَلَّمْتُ بِالنُّوحِ سِرَّ النِّعَمِ وَأَذَرْتُ بِالشُّجُوِّ مَعْنَى الْفَرَحِ

سَجَّتْ لَيْلَتِي وَتَرَامِي الظَّلَامُ وَمَالِي عَنْ خَوْضِهِ مُنْتَدَحِ
وَقَدْ رَوَّحَ الْغَيْبُ النَّارِحُونَ وَأَلْقَى الْمُسَافِرُ عَيْنًا فَدَحِ
وَفَضَّ الْكَرَى سَامِرَ الْعَاشِقِينَ وَلَمْ يَبْقَ فِي الْأَرْضِ إِلَّا شَبَحِ
يَحُومُ عَلَى عَالَمٍ نَائِمٍ رَمَى بِمَتَاعِهِ وَأَطْرَحِ
يُطَوِّفُ فِي اللَّيْلِ مَا يَأْتِي يُنَاجِي وَيَرْغَى حَبِيبًا نَزَحِ
وَقَدْ سَكَنَ الْغَابُ إِلَّا صَدَى تَوَلَّاهُ مِنْ وَجْدِهِ وَافْتَضَحِ
كَأَنِّي أَصْغِي إِلَى بُبْلِلٍ يُشِيرُ الْمَفَارِحَ إِمَّا صَدَحِ
فَأَحْسَتُ دُنْيَا مِنَ النُّعْمِيَّاتِ وَأَفْقًا جَدِيدَ الْأَمَانِي انْفَسَحِ
وَأَذِنِي إِلَى هَمْسَةٍ فِي الدُّجَى وَعَيْنِي إِلَى بَارِقٍ قَدْ لَمَحِ
وَأَقْبَلَ طَيْفُكَ جَمَّ الْجَلَالِ تَدَثَّرَ بِالنُّورِ حَتَّى اتَّشَحِ
مَدَدْتُ يَدَيَّ وَعَانَقْتَهُ فَنَعْنَمَ قَلْبِي وَدَمْعِي شَرَحِ
وَضَاعَ اللَّجَاجُ وَغَابَ الْعِتَابُ كَأَنَّ الزَّمَانَ صَغَا أَوْ سَحِ
قَرَأْتُ بِعَيْنَيْهِ فَرَطَ الْحَيْنِ وَشَجَّوْا يُذِيبُ إِذَا مَا قَدَحِ
وَعَايَنَ بِي غَمَرَاتِ الرَّدَى تَرَفُّ عَلَى هَيْكَلٍ قَدْ جَنَحِ
فَأَطْرَقَ مُسْتَعْبِرًا نَادِمًا وَبَانَ عَلَيْهِ الْأَمْسَى وَاتَّضَحِ

جائزة الآداب الكبرى

هنري دو منتزلان

Henry de Montherland

بقلم علي كامل

لمحة عن أدبه وقته

منحت الأكاديمية الفرنسية جائزة الأدب الكبرى للكاتب الشاب هنري دو منتزلان ، فازتفع بذلك اسمه إلى مصاف أكبر الكتاب الفرنسيين المعاصرين ، وتنبهت الأذهان إلى الطابع المخصوص الذي يمتاز به أدبه كفن من فنون القصة الفرنسية الحديثة :

وهنري دو منتزلان كاتب من كتاب الشباب الذين تفتحت عيونهم على ضوء هذا القرن العشرين . ولد عام ١٨٩٦ ، ودخل مدرسة سانت كروا دو نوبي . ولما شبت الحرب الكبرى خرج من المدرسة ليشارك فيها وجرح جرحاً بليغاً . وكان طبيعياً أن يعود منتزلان وقد ملأت نفسه نزع التشاؤم والثورة ، فقد هجر مدرسته ليخوض غمار المجزرة البشرية الكبرى وهو لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره ، فعانى فيها أشهراً من الحرمان والتضحية لم يجد لها مبرراً أمام عقله الذي يفكر وقلبه الذي يحس ، كما يفكر ويحس كل أديب فنان ينزع نحو مثل عليا في الحب والرحمة والأخاء عاد منتزلان من الحرب ضائع العزم محطم الآمال . وكان استعداد الأدبي قد ابتدأ يتفتح على ضوء تجاربه ومحنه السابقة ، فانصبت آلامه وثورته في أدبه تلمسها من بين خفايا السطور ، وكانت إنسانيته الحزينة تدفعه — كغيره من كتاب الشباب الذين خاضوا غمار الحرب — لوصف أهوالها وما جرت وراءها من التدهور الأخلاقي والفكري . كذلك فإن (أناية الفنان) التي تعمده كانت تدب عليه أن يضحى بشيء دون أن ينال على تضحيته جزاء يدرها ويلتص منه العزاء . لذا لم يفكر منتزلان لأتمه وللجمع تضحيته الكبيرة حين جرفته العاطفة الوطنية كغيره دون وهي إلى ميدان القتال ليتعذب شر عذاب ويعود جريحاً بين الحياة والموت فقد الأمل في إنعام حياته المدرسية .

ولقد كان هذا الشباب المذب دافعاً لهنري دو منتزلان إلى أن يهيم بتلك السن التي نعى وتآلم فيها ، فأصبح يمجّد سن الشباب (تلك السن — كما يقول — التي لا تعترف بجميل . سن القلب والنفس . نجم الحياة المتألق) . ولقد تدرج منتزلان من ذلك إلى الغرام بالألعاب الرياضية لأنها المظهر الذي تتمثل فيه حيوية الشباب وجبروته ، ولأنها الوسيلة لأطالة عهد الشباب إلى أبعد مدى مستطاع و (أدب الألعاب الرياضية) فن حديث جداً في الأدب

الفرنسي . وترستان برنار هو صاحب الفضل الأول في تغذية القصة الفرنسية بالأفكار الرياضية ومعالجة شؤونها ووصف أبطالها ، وكان يحب الكتابة عن ألعاب الملاكمة وأبطالها كما في قصته Nicola2 Bergère على أن هذه الحركة ظلت بطيئة الخطر ، ولم يتعد نشاط قادمي القليلين الكتابة في الصحف والمجلات ، وإخراج عدد قليل من الأعمال الأدبية التي لم تكن ذات قيمة تذكر . . إلى أن كانت الألعاب الأولمبية عام ١٩٢٤ فتشط أنصار (أدب الألعاب الرياضية) وأرادوا أن يدخلوا الفنون الرياضية في القصة الطويلة والقصيرة وفي الشعر أيضاً ، وكثر عددهم واتسعت مدرستهم وأصبح كل منهم متخصصاً في الكتابة عن فن من فنون الألعاب الرياضية ، فمنهم من هاجم بالسيارات مثل هنري كستما كرز Kistemackers كما في قصته M. Dupont Chauffeur ومشيل كورداي Kordoy في قصته Nonsieur. Nadrme et L'auto واكتاف ميربو Mirbeau في قصته الشهيرة La 628-E8 التي تعتبر في نظر النقاد أروع قصة في (أدب السيارات)

ومنهم من ولع بالألعاب كرة القدم مثل جان برنيه Bernier في قصته Tête de mêlée ولوي هنري دستل Destel في قصته Desroches footballleur وتعتبر قصة L. Histofre de quinze hommes لما رسيل برجييه Berger خير ما كتب في (أدب كرة القدم)

وهناك غير هؤلاء الكتاب عدد كبير من أنصار هذه المدرسة جعلوا من شخصيات قصصهم أبطالاً لفنون رياضية أخرى مثل سباق الخيل والطيران وغيرها .

وهنري دو منتزلان يعتبر اليوم زعيم الأدباء الشباب على الإطلاق ، وأدب الألعاب الرياضية على الخصوص . وقد برع في الكتابة عن المصارعة . وسافر خصيصاً إلى إسبانيا وتعلم طريقة مصارعة الثيران

Les Cilibataires .. وكانت آخر قصصه قصة (العزاب) Mauresque .. والآن قد يتساءل القارىء . كيف يشر منتزلان بقيمة الألعاب الرياضية ويخصص أدباً لخدمتها والدعوة لنشرها وهو الناقم على مظاهر العنف ، الشائر على نظام الجندية والحرب ، الداعى الى الأخاء والمحبة والتعاون ؟ ومنتزلان نفسه يحس بالتناقض الظاهر بين طبيعته الشائرة المتمردة وبين نظام الألعاب الرياضية الذى يدعو اليه وما فيه من معانى الترف البرجوازى . على أنه يقبل ذلك كارهاً غير مرتاح الضمير . يقبله كوسيلة لتحقيق فلسفته التى ترى فى الألعاب الرياضية — كما ذكرنا — وسيلة لأبراز الشخصية والسمو بها على سائر الشخصيات التى تحيط بها . والواقع أن منتزلان قد أجاد تصوير فكرته بطريقة غاية فى الإبداع . فأنت تلمح من خلال شخصيات قصصه كيف تتفتح الشخصية وتعود حين يصبح صاحبها بطلاً من أبطال الرياضة . وكيف يغمر صاحبها النشاط والحيوية وعبادة البطولة التى تدفعه للاستهداف للموت راضى النفس مرتاح الضمير

وأدب منتزلان أقرب إلى الرومانتيكية منه إلى الواقعية وهو فى ذلك يقول (إن الواقع والحقيقة تقع عندى فى المرتبة الثانية) وإذا كان كل كاتب لابد أن يتأثر بروح بعض من سلفه من الكتاب ، فإن بلزاك وشاتوبريان يطبعان أدب منتزلان بطابع لا يمكن إنكاره وتناسيه

ويمتاز هنرى دو منتزلان بأسلوبه الرائع ، فثروة الألفاظ وحسن اختيارها وأدائها ، والموسيقى السامية التى تلبس عباراته فتعبر عما يدوى بين أرجاء نفسه من النزعات والعواطف شئ أظهر ما يميز فنه وشخصيته بين الكتاب الفرنسيين المعاصرين .

على كامل

مجموعة الستة الأولى للرسالة

لدى الادارة مجموعات مجلدة من السنة الأولى للرسالة تباع بخمسة وثلاثين قرشا غير أجرة البريد فى مصر وبخمسين قرشا فى البلدان الأخرى

ودرس نفسية أبطالها وأخلاقهم ثم عالج ذلك فى قصته Les Bestiaires كان أول أعمال منتزلان كتابه La Relève du Matin الذى كتبه عام ١٩١٦ وظهر عام ١٩٢٠ وهو قطع من الشعر المنشور يصف فيها ذكرياته عن الحرب والمدرسة التى كان يتعلم فيها . وفى عام ١٩٢٢ ظهرت قصته Le Songe وفيها يمجّد الألعاب الرياضية والصداقة التى بين الأبطال الرياضيين . تلك الصداقة التى يضعها (البان) بطل القصة فوق الحب . وفكرة (البان) عن الحب هى فكرة الكثرة العظمى من أبطال الرياضة الذين يقومون فريسة النزاع الدائم بين نداءين : نداء القلب ونداء الواجب الرياضى الذى يطالبهم بالابتعاد عن النساء كيما يحتفظوا بعناصر القوة فيهم . وينتهى بهم الأمر الى انتصار النزعة الرياضية وعبادة القوة والمجد فيتضاءل مركز المرأة فى نظرهم . وهم لذلك لا يؤمنون بالحب العاطفى . فالحب فى نظرهم ميل جسدى اذا ما تحقق مات ما يسميه الناس بالحب ، ولذا ترى (البان) يرفض حب القلب بقسوة

ولألبان هذا رأى غريب الى حد ما . فهو يقول إن العالم خاضع لفلسفتين : فلسفة النساء وفلسفة الرجال . فالأولى تتمسك بالديموقراطية ، أما الثانية — وهى التى يؤمن بها بعناد — فهى تتشبث بالماضى المجيد وبالقوموية .

وفى قصة le Paradis à l'ombre des épées (١٩٢٤) ترى منتزلان يبرر اهتمامه بالألعاب الرياضية إذ يعتبرها مرحلة من مراحل تحقيق الشخصية ، على أن فكرته فى علاقة الرياضة بتكوين الشخصية تتكرر بشكل أقوى بروزا فى قصة (مصارعى الوحوش) Les Bestiaires (١٩٢٦) . إذ يعرض لنا منتزلان نوعاً من أنواع المخاطرة الجريئة ، تلك التى يستهدف لها مصارعو الثيران يعرضها مصاغة فى قالب بارع يدفعنا لاحترام أولئك المصارعين البواسل الذين يغامرون بحياتهم حباً فى السيطرة وإظهاراً للقوة وامتحاناً لشخصياتهم التى لا تعتبر كاملة فى نظرهم إذا عرفت للوجل معنى !

وقد كتب منتزلان فى هذه الفترة القصيرة من حياته الأدبية عدداً كبيراً من القصص أهمها عدا ما ذكرنا قصة Aux fontaines du Désir (١٩٢٧) و Pages de Tendresses (١٩٢٨) و La Petite Hispano La Rose des Sabtes (١٩٢٩) و Infante de Costille

العلوم

مدام كورى وقصة الراديوم

١٨٦٧ - ١٩٣٤

للأستاذ مصطفى محمود حافظ

مسير دسرام كورى :

توفيت مدام كورى فى صباح الرابع من شهر يوليو الحالى بعد أن نالت من النجاح فى حياتها العلمية والعملية ما لم تنله أخرى من قبل ، فانظفأ ذلك السراج المنير الذى أضاء سبيل بعض علماء العصر الحديث فى الوصول إلى أخطر انقلاب علمى حديث ، وهو النظرية الحديثة فى تركيب المادة

ولدت ماري سكلود وفسكا فى فارسوفيا عاصمة بولونيا فى ٧ نوفمبر سنة ١٨٦٧ ، ولكنها نزلت عن وطنها الأول إلى وطنها الثانى فرنسا لأسباب سياسية . فذهبت تطلب العلم فى السوربون ، وقد اضطرها الفقر إلى الخدمة فى معامل المعهد ، فكانت تغسل الزجاجات وأنابيب الاختبار لتنال من ذلك ما يساعدها على تسديد نفقات التعليم

تعرفت بالنسيو « بيير كورى » الذى كان يعمل فى السوربون هو الآخر ، وقامت تساعده فى أبحاثه التى كان يقوم بها فى ذلك الوقت فى الكهرباء وخواص الأجسام المغناطيسية فى درجات الحرارة المختلفة . وقد انتهى بها هذا الارتباط الذى ابتدأ فى العمل إلى الزواج به فى سنة ١٨٩٥ . وقد ظلا يعملان معاً أحد عشر عاماً توصلتا فيها إلى الكشف عن عدة عناصر أهمها « البولونيوم » و « الراديوم » . وقد كشف الأستاذ الفرنسى « بيرون » عن وجود عنصر الراديوم مستقلاً عنها ، ولكن اسمه لا يكاد يقرن باسميها عند الكلام عن الراديوم إلا فى القليل النادر

قصة الراديوم :

لم يكن الكشف عن الراديوم من هذه الاكتشافات التى أتت عفواً وكاد مكتشفها يتعثر فيها أثناء سيره فى عمله ، كما حدث للأستاذ الألمانى « رنتجن » عند كشفه عن الأشعة التى تعرف باسمه ؛ ولا من تلك الاكتشافات والاختراعات التى كأنه قد أوحى بها إلى أصحابها ، كما حدث للأستاذ « وياسون » عند تفكيره فى صنع « الغرفة القائمة » ، وهى الجهاز الذى يمكننا من رؤية مسار الدقائق المتحركة التى لا يمكن رؤيتها بالعين ولا بأقوى ميكروسكوب (١) . بل كان من هذه الاكتشافات التى عمل لها أصحابها وكانوا يتوقعونها نتيجة لأبحاثهم الرياضية أو الطبيعية ، كما حدث عند البحث عن السيار « نبتون » فقد رآه « لفريره » بالرياضة قبل أن يراه « جال » بتلسكوبه

اذن لابد أن يكون قد سبق الكشف عن الراديوم دراسة بعض الظواهر التى مهدت السبيل لظهور هذا العنصر ، وهذا ما أود أن أسرده الآن مرتباً ترتيباً تاريخياً

فى سنة ١٨٩٥ ، وهى السنة التى ارتبط فيها « الكوريان » بالزواج ، كان الأستاذ « رنتجن » يمرر التيار الكهربائى فى الأنابيب المفرغة تقريباً من الهواء ، وهى المعروفة بأنابيب « كروكس » ، وذلك للكشف عن أشعة غير مرئية للعين . فلاحظ أن لوحاً مغطى بطبقة مومضة — وقد وضع عفواً بجوار الأنبوبة — قد تألق وأومض وهو فى الظلام . فإذا انقطع التيار انقطع الوميض . هذا الوميض يحدث لمواد معينة إذا سقطت عليها أشعة الشمس ، وبالأخص ما كان منها بعد التفتيح ، وامتصت جزءاً من الطاقة الضوئية ، ثم أخذت إلى الظلام . فالطاقة المتصدة تنطلق ببطء ، وتومض المادة حتى تزول الطاقة

(١) الجهاز عبارة عن صندوق يحتوى على بخار ماء دون النضج بقليل ، فإذا برد هواء الصندوق وأطلقت الدفينة فيها فى انتقالها تحرق الذرات فتتأين ويخرج منها كبريتات البضار . فنرى خطاً أبيض من بخار الماء الكثيف على طول الطريق الذى أخذته الدفينة المتحركة

المخزونة . يحدث هذا إذا عرضت هذه الأجسام إلى أشعة الشمس ، ولكن لوح « رنتجن » لم يتعرض تعرضاً مباشراً لأشعة الشمس ولا للأشعة الخارجة من أنبوبة « كروكس » لأنها كانت مغطاة بورق أسود يمنع نفاذ كل الأشعة التي كانت معروفة في ذلك الوقت ، ولكن مادام اللوح قد أومض فيجب أن يكون « رنتجن » قد توصل إلى أشعة غير معروفة من قبل ويمكنها النفاذ من الأجسام المعتمة ، وقد سماها رنتجن « أشعة اكس » أو « الأشعة السينية » أو « الأشعة المجهولة » . ولكن عدم معرفته لكُنه هذه الأشعة لم يمنعه وغيره من دراسة خواصها ، فعرف أنها تخترق الصفائح الرقيقة المعدنية ، وأن مقدار نفاذها من هذه الصفائح يختلف باختلاف المعادن نفسها ، وأنها تؤثر على الألواح الفوتوغرافية وتلقي عليها ظلالاً للأجسام المعتمة التي توضع بين مصدر الأشعة واللوح الفوتوغرافي ، وأنها تجعل الغازات موصلة للكهربائية ، وأنها تضييع شحنة الأجسام الكهربائية

هذه هي نتائج التجارب الأولى التي أجريت على « أشعة رنتجن » في أواخر سنة ١٨٩٥ ، وفي السنة التالية فكر أحد علماء فرنسا وهو الأستاذ « هنري بيكرل » في شيء آخر وهو : إذا سقطت « أشعة رنتجن » على جسم مومض فإنه يومض ويتألق . فهل العكس صحيح ؟ هل المادة بعد تعرضها لأشعة الشمس ثم تركها تومض في الظلام ، تخرج « أشعة اكس » أو أشعة نفاذة مثلها ؟ للإجابة على ذلك السؤال اشتغل « بيكرل » بأملح الأورانيوم المومضة ، فتركها في الشمس مدة ثم لفها في ورق أسود ووضعها في الظلام بجوار لوح فوتوغرافي ، فوجد بعد مدة أن اللوح قد تأثر . إذن هناك أشعة خرجت من ملح الأورانيوم المومض ونفذت من الورق الأسود ، فهي كأشعة رنتجن في ذلك ، وقد وجد لها أيضاً بقية الخواص المعروفة لهذه الأشعة . ولكن استمرار البحث بين له أن هذه الأشعة الخارجة ليس لها علاقة البتة بالوميض كما كان يعتقد . فالوميض يضعف عادة مع الوقت ، ولكن هذه الأشعة النفاذة لم يكن ليعترها الضعف بمقدار محسوس . أذاب الأملاح المومضة وبلورها في الظلام دون تعريضها لأشعة الشمس فوجدتها تخرج نفس الأشعة . أخذ أملاح الأورانيوم غير المومضة فوجدتها تخرج نفس الإشعاع النفاذ . جاءت بعد ذلك الخطوة الثالثة التي كانت من نتائجها

الكشف عن « المواد المشعة » أو المواد الراديوية (١) انقسم العلماء بعد تجارب « بيكرل » إلى فريقين : الأول ذهب يبحث عن ماهية الأشعة التي تصدر من أملاح الأورانيوم ، والثاني يبحث عن مواد أخرى لها نفس خواص أملاح الأورانيوم ، وقد زعم هذا الفريق « مدام كوري » وزوجها ، بعد أن أبدت رأيها في مبحث الفريق الأول من العلماء بأن قالت : إن « الفعل الإشعاعي » لأملاح الأورانيوم راجع إلى خاصية في المادة لم تعرف بعد ولا تشبه في ذلك أشعة رنتجن .

وأول ماوصلت إليه « مدام كوري » في بحثها أن إشعاع أملاح الأورانيوم « خاصية ذرية » . أي أن مقدار الإشعاع يتوقف على مقدار الأورانيوم أو عدد ذرات العنصر الموجودة في المادة المختبرة ، وليس له أية علاقة بالمواد الأخرى الداخلة في تركيب الملح . وإلى ذلك يعزى سر نجاحها في الكشف عن مادتين مشعيتين أخريين

وجدت بقياس الفعل الإشعاعي لبعض المواد التي تحتوي الأورانيوم أن قوة إشعاعها تفوق ما ينتظر أن يكون ، على حساب أن الموجود في المادة أورانيوم فقط . فلو كان الفعل الإشعاعي « خاصية ذرية » كما وجدت هي فلا بد أن توجد مادة أخرى أقوى في فعلها الإشعاعي من مادة الأورانيوم نفسها . وعلى هذا الأساس بدأت « مدام كوري » تعمل لكي تفصل هذه المادة الجديدة . وقد شجعتهما حكومة النمسا على المضي في بحثها بأن أهدت إليهما طناً من المعادن المحتوية على أملاح الأورانيوم المستخرجة من « بوهيميا » . ففصلت بالتحليل كل الأورانيوم الموجود في الخامات ، ولكنها وجدت أن الباقي كان أشد فعلاً وإشعاعاً من مقدار الأورانيوم المستخرج بأربع أو خمس مرات . فاستخرجت ملح الزموت الموجود في الخامات فوجدته متحداً مع مادة فعالة مشعة سميتها « بولونيوم » نسبة إلى وطنها الأصلي « بولونيا » . ثم استخرجت ملح الباريوم الموجود فيها تبقى من الخامات فوجدته متحداً مع مادة مشعة أخرى سميتها « راديوم » أو « المشع » ، وهي تسمية موفقة ، لأن هذه المادة الجديدة تفوق في إشعاعها « الأورانيوم » بمقدار مليوني مرة إذا قورنت به وزناً بوزن . وقد أعلنت « مدام كوري » عن هذا

(١) الأفضل تسميتها المواد المشعة لأن اسمها Radioactive Substances مشتق من كلمة Radium اللاتينية ومعناها « شعاع »

صدمته عربة ومريت عليه فقتلته لساعته . وقد أثر ذلك في زوجته حتى خيف أن تترك الاشتغال بالعلوم بعد تلك الفاجعة ، ولكنها تشجعت واستعانت بذلك الصبر الذي لازمها في أبحاثها العلمية الشاقة . وقد عينت استاذة للطبيعة في السوربون مكان زوجها . وقد تمكنت « مدام كورى » من فصل عنصر الراديوم من أملاحه ، وهي عملية شاقة لأنه سريع التحول الى الايدروكسيد ، وعينت وزنه الذرى فوجدته ٢٢٥ ، ولكنها تمكنت بعد ذلك من تصحيحه الى ٢٢٦,٢ ، ثم وجدته « ثورب » ٢٢٧ . وقد نالت من أجل ذلك جائزة نوبل في العلوم الكيماوية ، وبذلك تكون قد نالت جائزة نوبل مرتين وهو ما لم يظفر به عالم من قبل .

تأثير الراديوم في هضم الجسم :

استخدم الراديوم في بحوث نظرية وعملية . ومن النظرية الكشف عن كيفية تركيب المادة وتحطيم الذرة . كذلك تقدير عمر الكرة الأرضية بالاستعانة بما يوجد من الراديوم بين الصخور فإنه يتحول ذاتيا الى مواد أخرى تنتهى بالخصائص بنسب معينة في أزمنة معينة . ومن البحوث العملية التي يستخدم فيها الراديوم معالجة بعض الاورام الخبيثة مثل « السرطان » . وأول من عرف تأثير الاشعاع الخارج من المواد المشعة على جلد الانسان وخلاياه هو « بيكرل » في سنة ١٩٠١ . ولكنه دفع ثمنا لذلك التهاب جلد صدره زمنا طويلا . فقد كان يحفظ أنبوبة صغيرة بها مواد مشعة في جيب صدره ، فاصيب في مدة أربعة عشر يوما بالتهاب جلدى حاد تحت موضع الانبوبة ، سمي « حرق بيكرل » ومنذ ذلك الوقت بدأت البحوث تترى في تأثير الراديوم على الخلايا المريضة في الجسم ، فافتتح في سنة ١٩٠٦ في باريس « المعمل البيولوجى للراديوم » . وفي سنة ١٩٠٩ افتتح مركز يمثاله في لندن ولكن لا يزال النجاح غير كامل في استخدامه للعلاج ، وان كان موثوقا به في الاضرار بالخلايا السليمة اذا أسىء تعريضها اليه .

وفاة مدام كورى

ظلت « مدام كورى » تحاضر في السوربون ، وتجري بحوثها العملية حتى هذا العام . فاصيب بفقر في الدم وانتقلت الى مصح حيث ماتت في الساعة الرابعة من صباح ٤ يوليو سنة ١٩٣٤ بعد أن خللت اسمها في صحائف المجده .

[البقية في أسفل الصفحة التالية]

الاكتشاف العظيم في سنة قرأتها أمام « أكاديمية العلوم » في باريس سنة ١٨٩٨

وقد أملت . سالتها الرغبة في نفوس كثير من العلماء للبحث في طبيعة الاشعة المنطلقة ذاتيا عن المواد المشعة ، وقد كان من وراء هذا البحث سير « جوزيف تومسون » وسير « إيرنست رذرفورد » (وهو الآن لورد رذرفورد) . فلم تأت سنة ١٩٠٠ حتى كان من المعروف أن هناك ثلاثة أنواع من الاشعاع تصدر عن المواد الراديومية .

الأول — اشعة لا تقدر على النفاذ من ورقة رقيقة ، وقد سميت « الاشعة الالفية » . وقد درسها « رذرفورد » في المدة الواقعة بين سنة ١٩٠٣ ، ١٩٠٩ فعرف أنها ليست أشعة بل دقائق متحركة بسرعة كبيرة ، وأنها مشحونة بشحنة كهربائية موجبة . وأنها عبارة عن ذرات غاز الهليوم الذي تتلأأ به المناطيد الحديثة . وقد استخدم « رذرفورد » هذه الدقائق كقذائف يرمى بها الذرات فيحطمها ، وكان من نتيجة بحوثه في ذلك أن وضع النظرية الذرية الحديثة ، القائلة بأن الذرة عبارة عن نواة متركزة في الوسط موجبة التكهرب ، يدور حولها الكترونات سالبة .

الثاني — أشعة يمكنها النفاذ من ألواح من الالومنيوم سمكها بضعة مليمترات . فهي أكثر نفاذا من الاشعة الالفية وقد سميت « الاشعة البائية » . وفي سنة ١٨٩٩ تمكن « بيكرل » و « جيزل » و « كورى » من معرفة أن هذه الاشعة تنحرف بتأثير المجال المغناطيسى ، فهي ليست أشعة بل دقائق كهربائية سالبة .

الثالث — أشعة أشد نفاذا من سابقتها كشفها « فيار » في سنة ١٩٠٠ ، وسميت « الاشعة الجيمية » ويمكنها النفاذ من ١٥ بوصة من الصلب أو ٦ بوصات من الرصاص . وهي من نوع أشعة بيتا .

وفاة بير كورى :

انتهت على « الكورين » التهانى والاستلة بعد كشفها عن الراديوم . وفي سنة ١٩٠٣ منحتها الجمعية الملكية بلندن ميدالية « دافى » . وفي نفس السنة قسمت جائزة نوبل للعلوم الطبيعية بينها وبين « هنرى بيكرل » . وقد عين « كورى » استاذة للطبيعة في السوربون ، واختير في سنة ١٩٠٥ عضوا في « أكاديمية العلوم » بباريس . وبعد ذلك بعام واحد ، بينما كان خارجا من الجامعة ،

القصص

منه الواقع

طارق الليل

للأستاذ أديب عباسي

ظاهراً ، ونكفى عليهم بالسمع زهفه لثائق ما يتسارون به
ويتهايمسون . فلم يكن يفوتنا شيء من أحداثهم عن الحرب ، وما
يقدرونه لها من استطالة ، وما يترقبون من مفاجآت ، وما يخشون
من عواقب ، وما يتوجهون به من عطف ، وتمنى الانتصار
لهذه الدولة أو لتلك .

على أن أظهر ما كان يبدو من آثار الحرب هو ما كنا نلمحه
من مظاهر الفاقة والحاجة الى الغذاء ؛ وهو أثر ليس للتجمل
والابتسام القصور عليه حيلة . فالحزن والغضب ، والحب والفرح ،
والبغض والعطف ، والكراهة والحقد والخوف ، جميعها يستطيع
المرء بالمران والممارسة أن يروض نفسه على إخفائها ، بل والظهور
معه في عكس مظاهرها الصحيحة . ولكن الجوع اذا أزم
لا يستطيع وجه أن يخفيه مهما رُزق صاحبه من قدرة على الاخفاء
وحيلة في التمويه .

أقول : كان هذا أكثر مظاهر الحرب بُدُوّاً عندنا وأشدّها
بروزاً : وماذا ينتظر ممن كان في سننا وفي مثل خبرتنا غير هذا ؟
وهل كان بوسعنا أن نستشرف من حوادث ذلك النضال غير هذا
الأثر الذي لم يستجد علينا مع الحرب غيره ؟ في الحق أننا لم نكن
نعنى من معاني تلك الحرب في ذلك الحين سوى أنها شدة تقاسي
فيها المعدة وتوابغها أشد ما يقاسي ، وهي نظرة لم تكن من الضحولة
وقرب الغور على قدر ما حسبنا لها فيما بعد ، حيناً بدأنا نقرأ عن
الحرب في بطون الكتب وفي ثنايا الخطب ! وهذا في الحق
مما يحسب للطفولة من بداهة مسددة وإلهام صادق . ومن منا
يشك بأن أقصى ما قاساه الناس عموماً في الحرب هو الجوع ، حتى
بين الجنود الذين كانت تشويهم نيران المدافع وتجزئهم قذائفها !

أؤينا الى فراشنا ليلتئذ على هدهدة قبضة من الأخبار المتناقضة
عن الحرب مما ترشح الى البلدة النائية . وكنا نلقى هذه الأخبار

كان ذلك في ليلة من ليالى الحرب الكبرى وفي شطرها
الأخير ، وكنا يومئذ لا نعلم من أهوال ذلك الصراع العنيف إلا
ما يستطيع الصغار — وما رُكب في رءوسهم من عقول محدودة —
أن يعلموا . فلم تكن الحرب عندنا إذ ذاك إلا تلك الفترة وذلك
الوجوم يعلوان وجوه الكبار ، وإلا ذلك القلق المقيم في اللحاظ ،
وتلك الهمسات يتبادلونها فيما بينهم ، ولا ينئون في التلطف حيناً
والمخاشنة حيناً آخر ، ليصرفونا عن الاستماع والاصغاء اليها .
ولكنها كانت محاولات فاشلة ، إذ ليس شيء أعلى بنفوس الصغار
وأخلب للبهيم وألصق بخيالهم وأدعى لفضولهم من حديث يتسار
به الكبار فيما بينهم ، ثم يراد لهم ألا يأمسوا منه بشيء . فكنا
— لنرضيهم ونأمن منا كدبتهم — ننأى ونصد عنهم لا عيين

وقد خلفت « مدام كوري » وراءها ابنتها مدام « جوليو »
زوجة العالم الفرنسي الأستاذ « جوليو » . وهي كوالديها شغوفة
بالبحوث العلمية ، وهي تسلك نفس الدرب الذي شقه والداها
من قبل . فقد أجرت مع زوجها في سنة ١٩٣١ بعض تجارب
في اطلاق « الدقائق الالقية » على عنصر « البريليوم » مما كان
من نتيجته الوصول الى معرفة أحد الاحجار البنائية في الكون
وهو « النترون » . فان لازمها التوفيق فسيكون للعالم « ميسيو
ومدام كوري » آخران ؟

مصطفى محمود حافظ
مدرس بمدرسة المعلمين بامبابه

الخسة عجديات تنقص بضعة قروش تروم بها دفع أجور الطحن في مطحنته ، فيأدرها بهز الرأس مشيراً في أسف الى يمينه التي أقسم والتي ستجره إن هو حثت بها الى الجحيم !

أيقن صاحبنا إذن أن لصاً شديداً جاء يقتحم عليه الدار عنوة ، وإذن فليتحصن ما تيسر له أن يتحصن ، وليتخذ من العدة كل ما يستطيع من عدة ، وليضع من الصناديق وراء الباب ما يضع ، وليأخذ بيده مسدسه مخشواً ، وليوسط بينه وبين الباب أمه العجوز يترس بها ، ففي جسمها الدسم الغني بالسحم واللحم ، وفي قامتها العريضة المديدة وقاء له خير وقاء إذا هم هذا الواعل بشيء من خلف الباب ، وتشجع صاحبنا المحاصر ونادى بصوت كالشرحجة : من الطارق ؟ من الطارق ؟ ! فجاءه الجواب زيادة في الطرق ولجاجة في النداء والطلب . وتكرر السؤال الذي جعله الرعب على وتيرة واحدة ، وتكرر الجواب الذي جعله الاصرار على وتيرة واحدة أيضاً .

وقال كبيرنا : ليس هو باللص الذي يخشى . وعهدنا بالصوص لا يقتحمون المنازل على السكان ، بل هم يتسللون اليها في غفوة من الناس وغفلة من الحراس . وهو كذلك ليس بالسائل والعهد بالتسولين يقرعون الأبواب قرعاً خفيفاً في أبصار غضيضة ، ورؤوس منكسة ، وأصوات خفيفة لا تكاد تبين ، إلا الأغرار منهم الذين لم يجربوا ولم يعرفوا من طباع البشر ما يعرف المتسولون المحربون .

ولم نشأ أن نطيل الحدس والتخمين ، فتوجه كبيرنا إلى الطارق وسأله في جفاء ماذا يريد في ذلك المزيج من الليل ، ولم ذلك القرع العنيف والنداء الصاخب ؟ فأجاب في نظر شارده وفي غير أناة :

لقد مضى على ثلاثة أيام لم أطعم طعاماً ، فأوشكت أن أهلك وقد طرقت فيمن طرقت حياً من أحياء الاعراب الخيمين في ضاحية البلد الجنوبية على بعد غلوتين أو ثلاث ، فوصفوا لي هذه الدار من البلدة ، وقالوا انك واجد هناك قوتاً ومأوى ليلتك هذه ، وعساي لم أخطئ ، الاستهداء .

وعم كبيرنا ليدخله بعد الذي عرف من أمره دون أن يريد في

في كثير من الاستمتاع واللذة . وما هو إلا أن أغمرنا أحفاننا حتى نقتلنا من عالم الواقع النقص الى عالم الأحلام والرؤى اللذيذة : من عالم الحرمان الى عالم الرغائب المحققة والمتع الدانية . فكان لنا من شئ الحلوى التي حرمتنا الحرب ما نشتهي ، ومن طريف اللعب التي غابت مع الحرب ما نختار . على أنها كانت لعباً من نوع آخر غير الذي ألفنا . فهي لعب صورها مشتقة ومؤلفة من الأوصاف التي كانت توصف بها أدوات الحرب يومئذ : طيارات تثر في الفضاء ، وسيارات تنهب الأرض وتتخطف الأميال ، ودبابات تجوز انوعاد وتتخطى العقبات ، وأمور أخرى شتى . وكنا في يومنا يشن بعضنا الغارات على بعض ، وسلاحنا هذه الأدوات التي أعازها لنا الخيال ، فلم يكن يكلفنا اقتناؤها جهداً ولا نقداً ، إلا أنها متع لم تدم ، وأحلام رؤوت ؟ فقد هبنا مذعورين بعد موهن من الليل على طرق يوالى دراكاً على باب أحد الجيران . وأصخت بملء جوارحى أتبين ضوضاء السيارات وقعقة المدافع ، ورغاء الطيارات ، فيتصل ما بين يقطتنا والنام : وهي الصورة التي تبادرت حالاً الى الذهن بعد ذلك الليل الحالم وبعد تلك الانكسارات والانتصارات التي عالجناها نياماً .

وأطلت فيمن أطل من خصائص الباب تبين الأمر ونجلى الواقع ، وكل في ذهنه — على ما أقدر — صورة تباين ما في ذهن الآخر تبعاً لأول بوادر الخيال المروع والبداهة المحفلة . ولم حتى صعوبة في تبين الطارق ؟ فقد كانت ليلة قراء فائضة النور كشفت لنا عن شخص في بقية أبواب لا ينفك يقرع الباب يجتمع يده فرعاً فيه عنف وفيه شدة ، يصيح بين الفينة والفينة في نبرات شديدة يطلب فيها فتح الباب ممن كان وقفها وراء الباب أما صاحبنا الذي كان الطارق يقصده بالطرق ، وبهذه الصيغة الأصم يفتح الباب ، فقد ذهب به الخيال مذهباً آخر . وهل نتجه في مثل هذا الحال الى غير الصوص خيال من امتلات ستاديفه بالذهب وفشت بالأصفر الزمان ؟ إن صاحبنا كان على تروم لا بأس بها في مثل ذلك العهد . فقد كان صاحب مطحنتين ، وكان لا يتخلل عن سماع القمح بأقل من خمسة عجديات ، ليس من طمع أو جود عارمة كما كان يقول . بل لأنه حلف حلفة لا يبيع الصاع بأقل من هذا القدر : الحكايات نجيت المرأة ويدها

فما شبع يرد إلى الحياة ، أو موت أرتاح معه من ذلة السؤال
وآلام الجوع . وعموت على أمر . قلت أبادر أصحاب الدار
بالغضب والصياح : فإن كانت فيهم بقية من رحمة وأناة من
الإنسانية لم يمنعهم سياح إذا ما شاهدوا ما أذا فيه . من الرأ
لحالي والجود على شيء . وإن كانت الأخرى وكانوا كبقية الناس
نألتني منهم ما أرجو معه أن أضع حداً لهذه الحياة الثقيلة . وحياة
الجندي — كما قد تعلمون — لا تساوى في هذه الأيام شيئاً ، ولا
تسر على أحد ، ولولاكم — جزتم خيراً على كل حال —
لكانت هذه آخر ليالي من الشقاء .

ولحظت عند هذا الحد من حديث الرجل الدمع يجول في
عينيه بين متحير ومتحدر ، يهبط به الحزن لحظة ، وتكفكه
الرجولة أخرى . وكأنه آنس مني عطفاً صادقاً عليه وإشفاقاً على
ما صار إليه ، فأقبل على يحدثني ويثني شكواه . وأغلب اليقين أنه
لم يكن يعتقد أنني مدرك إلى أي الأغوار والاعماق النفسية تنحدر
آلامه وأشجانه . إلا أن ذلك لم يكن بمناعه قط عن الحديث .
والمرء إذا زخرت نفسه بالألم وأترعها الحزن تحدث إلى كل شيء ،
تحدث إلى نفسه ، تحدث إلى سواء ، تحدث إلى الأطفال ، تحدث
إلى الحيوان ، تحدث إلى الجراد ، تحدث إلى الأشياء . فكان المرء
في ذلك الأثناء يتملى فيفيض بالزائد على ما حوله .

كشف الجندي عن صدره وأراني أثر جرحين أو ثلاثة ،
وكشف عن ساقه وأراني مثل ذلك وشرع يقول : أترى يا ولدي ؟
هذا بعض نصيبنا من هذه الحرب . هذا بعض ما أصابني . ولكنني
كنت كلما أصبت أتعلم على آلامي وأتحمل على نفسي فأؤذ
بربوة أو اهبط حفرة تقيني زيادة الأذى إلى أن ينصرف العدو أو
يزول الخطر ، فأقوم إذا كنت قادراً ، أو أحمل إلى حيث أعالج ، لأعود
إلى القتال أمضي عزيزة وأشد بأساً . ولكن الزمن — يا بني —
والجوع والتلذلان ، قد ذهبت بالكثير من قوانا وصبرنا ، فعذراً
لايهمنا أكننا في الطليعة أم في المؤخرة . وأخيراً رأيته على غير
إرادة مني أتخلف عن الجيش وأهيم على وجهي في غير قصد أو
اتجاه ، إلى أن انتهت بي المطاف إلى هذا البلد ثم هذه الدار ، فذلتني ما
نألتني على يدي ذلك العلاج الذي كان يجتني بهراوته . . . أهذا
يا ولدي جزاء هذه الجراح ؟ أهذه خاتمة الجندي الذي يدفع عنكم

سؤاله ، فينال بعض الطعام ويبيت ليلته . غير أنه حدث في هذه
اللحظة مراعنا جميعاً : ذلك أن صاحبنا المحاصر ، بعد أن أنس
إلى أصواتنا ولمحة الحديث الذي دار بيننا ، أيقن أن الأمر من
الخطورة على غير ما توهم وجسم له الخيال الزائع . ففتح الباب
بعض ظاهراً . والسدس يلمع في قبضة يده والعصا في قبضة يده
الأخرى ، ولم يترتب لتوضيح له جليلة الأمر ، بل أقبل على المسكين
بهراوته الثقيلة وانهاهل يكيل له بلا حساب حتى كاد يقضى عليه بين
أيدينا ، لولا أن لطف المولى وتداركه برحمته فسقط مما ناله بين
أيدينا التي جعلنا منها شبه حاجز بين عنف الرجل المهاجم وضعف
هذا الطارق . ولم يستطع صاحبنا معها أن يستعمل العصا فاندفع
يكيل له بقبضة يده حيثما وجد سبيلاً إلى ذلك من بين أيدينا .
وأدرك كبيرنا أي شيء يصير إليه الرجل إذا لم يحل حيلولة
تامة بينه وبين مهاجمه المحتق ، ولم تسعفه سنه من أول الأمر في
تخليص الرجل ، فاجأ أخيراً إلى أسلوب فيه شيء من القسوة ،
ولكنه الأسلوب الذي لم يكن بالامكان ارتجال ما يفضل في هذا
الطرف المخرج . فقد أمسك بتلابيب الرجل وجره إلى حيث
استطاع أن يوقيه من لكمات مهاجمه الذي أراد أن يثبت لنا بعد
ذلك الموقف من الجبن أنه على شيء كثير من البأس والاقدام
وبعد أن هدا روع الرجل وتناول بعض الطعام أقبلنا نلومه
مشفقين ، وسألناه ما شأنه ولم لم يختار له غير ذلك الأسلوب
الغريب للاستجداء واستدراج العطف . فأجاب عن أسئلتنا
جميعاً بقوله :

إنني جندي من فلول الجيش التركي في فلسطين ، طوح بي
السير إلى هذه البلاد بعد أن نال مني الجوع والتعب أقصى
ما يناله من حي . فقد كنت لقاة خبرتي بالطرق أسير من البلد
الواحد أبني بلداً آخر فأنتهى غالباً حيث أبتدىء ، وأبتدىء
حيث أنتهى . وكنت حيناً أصيب طعاماً أو شيئاً شبيهاً بالطعام
وأحياناً أمضي ساغباً أياماً لا يخالط الماء في جوفى شيء من الزاد ،
وأخر عهدى بالطعام — كما أخبركم — كان منذ ثلاثة أيام . فقد
استجديت واستجديت ، مصطنعاً كل أساليب الخشوع وأنواع
الضراعة ، ولكن في غير طائل . وأخيراً وصلت ذلك الفريق من
الأعراب فوصفوا لي هذه الدار ، فأليت لا أصبر زيادة عما صبرت

المغفل المخدوع

« إذا أصيب الرجل بداء الغفلة فقد التفت من نفسه ، وعاد لا ينظر بعينه ، ولا يسمع بأذنه ، ولا يفكر بفعله . »

أولع ملك من الملوك بالجديد من الثياب ، فكان يتأنق في لباسه التأنق كله ، وأصبح لا يرى اللذة إلا في الاغراب فيه ، وكثرة الانفاق عليه ، وما كان يعبأ بعد ذلك بأمر أمته ، فترك الجند هملاً ، وهم حصن الأمة وسلسلتها الفقرية ، واحتقر علماء الدنيا والدين ، وهم مصاييح الكون يضيئون الحياة ، ويبصرون الناس بسبلها الموحدة وطرائقها العجيبة ؛ وكان لا يذهب الى التمثيل حباً فيه ، وإنما ليعرض على الناس زخرف ملبسه وجميل هندامه ، وكان لا يخرج للترهة ترفيهاً لأعصابه واستمتاعاً بجمال الطبيعة ، وإنما ليدهش من يقابل ، ويشير فيه عاطفتين : العجب من تألقه ، والاعجاب بذوقه .

صرت الأيام هادئة في حاضرة الملك الواسعة ، وأخذ يأتيها الناس من كل فج عميق . وفي ذات يوم قدم الى الملك لسان متشردان ، ضربا في فنون الاحتيال السهم ، وذهبا في صنوف الخداع كل مذهب ، وتظاهرا أنهما أستاذان مبرزان في النسيج والحياكة ؛ فأقبل عليهما الملك بسمعه وبصره . ثم قال لهما : « أيها الملك العظيم ، إنا نريد أن نقدم لك خدمة جليلة ، إذ أنت بها خليق ، وهي بك أنسب ، إنا نستطيع أن نعد لك ثوباً شفيفاً جميلاً لا يراه عليك إلا من كان مخلصاً لك ، معجباً بك ، أو كفوفاً في عمله ، قديراً عليه . »

فتهلل الملك واستبشر وقال : « لله دركما يا صديق ، ما أكرمكما وما أجمل صنيعكما ، إني ولا شك أصبح بما تنسجان وتحركان بصيراً بأحوال الخلق جميعاً ، فأعرف من كان لا يحسن عمله ، ولا يصلح للقيام بما وكل اليه ، وأعرف كذلك الخاص من الخداع الداهن ؛ فبدأ من الساعة بهذا العمل الخطير ، وأنا أعرف كيف أجزل لكما العطاء . »

ثم أمر الملك أن يعطيا مبلغاً كبيراً من المال ، وأُخلى لهما قصر رحيب على مقربة من قصر الملك ، ثم انتشر الجند حوله

عدوان الأعداء بدمه وحياته ؛ إني من غدى مسلم نفسي الى أقرب سلطة عسكرية تفعل بي ما تشاء . ذلك خبر لي وأبق . والذفت اليه عذ هذا الجند من حديثه ومخاطبته متحمساً : نعم ؛ ذلك أفضل يا حماه . لو كنت محلك ما فعلت غير هذا . انك هناك لا تضرب بالعصى على ما أعتقد ولا تجر على الأرض : ونظر الى المسكين نظرة ذاعلة حزينة وقال :

نعم يا بني ، سوف لا يضربونني بالعصى ، لأن العصى ليست جزءاً من يتخلف عن واجبه في الجندية ؛ إنما هي قطع من الرصاص صغيرة يدفنونها في أحشائنا أو يولجونها في رؤوسنا ، فنضحي وكأن لم نكن . ولكن يميناً غموساً لن يحول هذا دون ما أنا عازم عليه من غدى .

وُخيل الى كأنني أدركت معنى هذا الكلام الغريب فراعني من الرجل هذا العزم ، ونظرت اليه في رعب ظاهر وذعر متوسل ، وبعد لحظة من الصمت خيل الى فيها أن الرجل يتذكر أموراً ويستعيد صوراً رفع عينيه وقال :

كلا يا ولدي الصغير ! كلا ! سأجاهد اذاً في سبيل الحياة ، سأحاول أن أعيش . إن لي صغيراً في سنك . لقد نسيت حينما أقسمت ، ولكنني الآن أذكره . انه ينتظرني الآن : ينتظر أن يطرقني يديه الصغيرتين . سأعيش ، سأعيش

وانحدر الدمع المعلق في مقلتيه منذ حين ، وذهب يسير في أحاديث وجهه المجعد . وكان بعضه يقع على الأرض وبعضه الآخر تتلقاه كفاه وفيها قِدة من القماش أخذها من بقية قميص على صدره

وعدت الى فراشي وليس أقر مني عينا ، وليس أدنى مني قلباً كذلك .

أدب عباسي

فهرس المجلد الأول من السنة الثانية

طلب اليك كثير من قرائنا أن نجعل للمجلد الأول من السنة الثانية لرسالة هرس خلاصته معه . وزولنا على إرادتهم سنتحقق الفرصة القربية لطبع هذا التراث وتوزيعه

يحرصونهما من اعتداء المعتدين (من غير المخلصين وغير الأكفاء) !
جلس اللسان المحتالان في القصر الجديد ، ونصبا المناسج
والأنوال ، وتظاهرا بالجد في العمل ، والمثابة التي لا تعرف الملل ،
وطلبا من الحرير أرقه وأنعمه ، ومن الخيوط الذهبية أدقها وأنقاها ،
فجئ لهما بما أرادا ؛ ولما انفردا في المكان وضعا الحرير والخيوط
وما أخذاه من المال في حقيبتيهما ، وجلسا الى مناسجهما القائمة
يديرانها على لا شيء ، لا خيط عليها ولا قطعة حرير ، يديرانها
بهمة غير محدودة الليل كله ، والملك في قصره ساهر يسمع أزيز
المناسج والأنوال ، وهي لا تضعف ولا تخمد . وأخذ النعاس
يغالب جلالتيه حتى غلبه وأخضعه لسلطانه ، ولم ينزع عنه حتى
تنفس الصبح ، وجلا الليل جلاء تاماً ، فقام الملك مسرعاً الى
نافذته ، تواقاً الى معرفة ما قد تم ، وأخذ يقلب وجوه الآراء
فيمن يبعث ، فقرر رأيه على رئيس وزرائه ، وما كان أخلص منه
ولا أكفأ في نظر الملك .

كلف الوزير الأكبر بهذه المهمة الشاقة ، فانطلق في سبيله
وائقاً من نفسه ، ودخل على الدجالين الكاذبين فوجدهما يتصببان
عرقاً ، ويديران المناسج الفارغة بالقوة والعزم اللذين يميزان عمل
المخلصين المصممين على النجاح ، فدهش الوزير الجليل وقال في
نفسه : « ماذا أرى ؟ أيمكن أن أكون غير مخلص للملك أو غير
جدير بمكانتي الاجتماعية العالية ؟ أيمكن أنى لا أرى ولو قطعة
صغيرة من الخيط أو الحرير على هذه المناسج القائمة الدائرة ؟ لله
ما أشقاني ! » ثم صدر من اللصين سؤال قطع عليه تفكيره
الصامت ، إذ طلبا منه أن يقترب قليلاً من المناسج ويخبرها برأيه
في اتساق الألوان ؛ ودقة التطريز وجمال الأشكال ، ثم أشارا في
الوقت نفسه الى مناسجهما الفارغة .

اقترب الوزير الخطير ووضع منظاره على عينيه ليرى مالم
تبصره عينه المجردة . نظر فلم ير شيئاً . ثم رجع البصر كرتين
فعاد البصر اليه خاسئاً وهو حسير . اتهم الرجل نفسه وكفايته
ودب الحزن في قلبه . وقال في نفسه : لا لا ! لا يمكن أن يعرف
الناس عني أنني غير مخلص أو غير كفء ، ولن أعترف أبداً أنني
ما رأيت النسيج الشفاف . .

لم يكذ السيد الرئيس يفرغ من خاطره المشجية المضحكة

حتى فاجأه أحد المحتالين بقوله : « سيدى ، يظهر أنك لا تبصر
محاسن ما قد صنعنا . » فأجابه الوزير : « لا أبصره ! ! ومن ذا
الذى يستطيع الابصار اذن ؟ ما أبدع ما أرى وما أدقه ، بنفسى
تلك الألوان المتسقة . وهذه التصاویر الرائعة . . . و . . . نعم
سأخبر الملك سريعاً بهذا البدع وهذا التفنن » فشكره اللسان
شكراً جزيلاً على حكمته وكفايته . وأخذ يشرحان له الأشكال
المختلفة الموهومة . ويذكران أسماء الألوان . ويبينان مواضع
الحسن في ذلك القماش الخيالى . والوزير يصنى اليهما ويهز رأسه
لبعض ما يسمع حتى يسرده على الملك عند عودته حرفاً بحرف
رجع الوزير والههم حليفه الى الملك ، وأخذ يصف ذلك الجمال
الذى سمعه بأذنه . وعجز عن رؤيته بعينه . والملك يترنح عجباً
ومروراً . وفي اليوم التالى بعث الملك ضابطاً من ضباطه الذين
سمعوا وصف الوزير وإعجابه بما شهد . فذهب الرسول ولم ير من
المناسج إلا خشباً قائماً لا شيء فيه . ولكنه اتهم عينيه واتهم
كفايته وأخذ يفكر تفكيراً هو الحريق الداخلى ويقول لنفسه :
« لاشك أنى غير كفء لمكانتي ذات الأجر الكبير . أف
ما أتعسنى ! كيف أعجز عن إبصار مارآه السيد الرئيس وافتتن به ؟
لا يجوز أن يعلم أحد عني ما أعلمه الآن من نفسى . » ثم ارتفع
صوته فجأة بالاعجاب والمديح ، وعاد الى الملك يبالغ في الثناء . فازداد
الوزير (وكان حاضراً) اتهاماً لنفسه وكفاءته . وسر من كذبه
الصالح . ثم عزم الملك على زيارة تلك المناسج العجيبة . فقام مع
حاشيته ورئيس الوزراء والضابط الممتاز وذهبوا الى اللصين جميعاً
دخلوا حجرة اللصين فصاح الوزير الأكبر صيحة العجب
والاعجاب : « ما أجمل ذلك الزخرف . وما أدق هذه الصنعة !
وما أبدع تلك الألوان المتداخلة . وتلك الأشكال المتماثلة . » ثم
صاح الضابط : « يا لله ! ما كنت أحسب قبل اليوم أن فى طاقة
الانسان أن يعمل كل هذا البدع : ثوب شفيف مطرز .
وبالأشكال الجميلة مزخرف . وهو مع ذلك لا تراه إلا عيون
المخلصين والأكفاء ، ولا تلمسه الأيدي ولا تدركه الظنون . »

فوجم الملك وقال في نفسه : « ما هذا ؟ ألا أرى شيئاً ؟ إنها
لصيبة كبرى ؟ هل يمكن أن أكون معتوهاً أو غير خليق
بالمالك ؟ لا . لا بد أن أسدل على الأمر ستار الخفاء . » ثم صاح

سيوة

تقع واحة سيوة في صحراء مصر الغربية على الحدود ما بين مصر وطرابلس على مسافة مائتي ميل جنوبي السلوم وأربعمائة ميل غربي وادي النيل .

ويمكن القول أنها الواحة الشمالية من سلسلة واحات تتبع إحداها الأخرى من الجنوب إلى الشمال في صحراء « ليبيا » وكان الأقدمون يسمون هذه الواحات « بالأراضى المقدسة » لأنهم كانوا يعتقدون أن الآلهة منحت هذه البقاع ماء وسط تلك الصحراوات القاحلة ، ولأن هذه الواحات قد حمى الطبيعة بأن أحاطت كل واحة منها بسلسلة من جبال كلسية تمنع عنها الرمال الدقيقة التي تحملها معها الرياح ، إذ لولا هذه الجبال لغطتها كثبان الرمال وجعلتها في عالم النسيان ، كذلك عيون الماء المتفجرة في هذه الواحات سببت الحياة والرخاء وسط ذلك المحيط القاحل غرب وادي النيل .

تتكون سيوة من عدة واحات صغيرة متجاورة تقع في منخفض من الأرض يبلغ طوله حوالى ثلاثين ميلا وعرضه ستة أميال تقريبا ، وينخفض عن سطح البحر حوالى عشرين متراً تكنفها صحراء جرداء محرقة لا تسقط فيها الأمطار

ولقد زارها الاسكندر الأكبر حينما غزا مصر وتبرك بزيارة معبد « جوبيتر آمون » إرضاء للكهنة المصريين ورغبة منه في إظهار احترامه لدينهم

يبلغ عدد سكانها ثلاثة آلاف نسمة ، وهم سلالة أقوام قديمة من البرابرة ، ولا يشبهون أعراب الصحراء في شيء . ولهم لغة خاصة بلهجة ولكنة غريبتين ، ولعلها لغة أجدادهم البرابرة القدماء ، والغريب في أمرهم أنهم يتكلمون بتلك اللغة ، ولكنهم لا يتكاتبون بها ، بل إنهم يتكاتبون باللغة العربية ، ولا شك في أن بقاء هذه اللغة البربرية راجع إلى بعد الواحة عن العمران ، وصعوبة المواصلات بينها وبين الأجزاء الأخرى من القطر فقل اختلاط السكان بالمصريين والأعراب ، بل إن أهالى سيوة لهم عادات خاصة ، وطباع تخالف في جوهرها طباع العرب و سكان وادي النيل

ليس لهذه الواحة تاريخ معروف ، بل إن ماضيها مظلم ، وليس من

« حقاً ما أجل ذلك القماش ! إني راض عنه الرضى كله » ثم ابتسم وحدث في المناسج الفارغة . ولكن هيهات لنفسه الضعيفة أن تنكر وجود شيء أقره رجلا من كبار رجاله ! وانطلق رجال الحاشية يحدقون كذلك ويصيحون : بديع ! مدھش ! نغم ! عجيب ! رائع ! تلك كانت الصفات التي أخذت ترن في أنحاء المكان الواسع . ثم عطف الملك على الحائكين وأجزل لها العطاء ورفعها إلى الدرجات العالية ، وقرر الملك أن يلبس تلك الحلة الرائعة ويسير في موكب نغم في أنحاء المدينة يعرضها على الأنظار . .

جاء يوم الاحتفال — ذلك اليوم المشهود — فخرج الناس من منازلهم ، وساروا زرافات في الطرق ، حتى فاضت بهم السبل ، وكأن الأرض صفحة كتاب ، سطورها الشيوخ والشباب . أما الملك فقد جرده اللسان من ملابسه إلا قميصه وسرواله ، ثم أوقفاه أمام المرأة ، وأخذوا يروحان ويحيثان ، ويرفعان أيديهما ويضعانها ، ويديران الملك أمام المرأة ليرى الحلة الجديدة ، وأفراد الحاشية وقوف بين متعجب ومسرور ، ثم صاح اللسان أن قد تم كل شيء فتقدم الخدم إلى رفع الذيل الموهوم لتلك الحلة الخيالية ، وسار الملك في طليعة السائرين ، والوزراء والأعيان حوله ووراءه ، والنساء مطلات من المنافذ والشرفات ، والناس منهومون بالنظرات . وما وقعت عيونهم عليه حتى علا الصياح يشق جوف الفضاء : « ما أجل الثوب ، وما أبدع الذيل » ! ! . . .

وهكذا ظل كل انسان يخدع نفسه ويكذب عينيه ، ظناً منه أنه وحده قد عجز عن رؤية الثوب ، وأن الباقيين يرونه كما يرى بعضهم بعضاً . واستمر الحال كذلك برهة والناس جميعاً خادعون ومخدوعون ، ثم صاح طفل ساذج : « ليس على الملك ثوب جديد ! الملك عريان ! » فبهت الجميع . . . ثم صاح شيخ كهل :

« اسمعوا صوت الحق ، اسمعوا صوت الطبيعة التي لا تعرف اللق والنفاق » . فاغتم الملك غماً شديداً إذ علم أن ما قاله الطفل حق صراح ، يبصره هو ويشعر به ، ثم عاد أدراجه بين سخر الساخرين ، واستهزاء الضاحكين .

سبيل لالقاء أشعة من النور لمعرفة إذا قامت بعثات علمية بالحفر في جبالها وآثارها والتنقيب في معابدها وخرائبها حتى يمكن أن يرفع ذلك الستار الكثيف عن تلك المدنية البائدة الغربية والطريق الأكثر استعمالاً للوصول إلى سيوة هو من مرسى مطروح والسلوم ، ويمكن للسيارات الصغيرة الخفيفة أن تقطع ما بين مرسى ومطروح وسيوة في ثمانى ساعات . أما السيارات الثقيلة المعدة للتحميل فتقطع المسافة في يومين ، وتقطعها الجمال في سبعة أيام ، ويقطع كثير من أعراب الصحراء المسافة من شاطئ البحر الأبيض إلى سيوة مشياً على الأقدام وهي مسافة لا يستهان بها إذا أضيف إليها ندرة الماء في الطريق .

وكل ما يعيش عليه الأعرابي في الطريق ، قليل من التمر ولبن الناقة وقطرات من الماء ، وبهذه المناسبة أقول إن السيارات لم تبدأ بالسير بين مرسى مطروح وسيوة إلا منذ سنة ١٩٢٦ أما قبل ذلك فالواصلات بين البلدين كانت بالجمال ، غير أنه حدث أن زار الخديو السابق عباس باشا سيوة سنة ١٩٠٥ مع بعض الألمان الذين كانوا ينقبون عن الآثار في مدينة «سانت منياس» القديمة التي تقع في الجنوب الغربي من الاسكندرية وكان بصحبته الهر إيوارت فولز . Ewart Falls وقد قطع المسافة لسيوة على عربة مكشوفة (فيتون) تجرها جياد تستبدل بغيرها كلما أصابها الكلال والتعب ، وهذه هي المرة الأولى التي سارت فيها عربات ركوب في الصحراء في تاريخ سيوة الحديث ، وتألفت حملة الخديو السابق في هذه الزيارة من أربعة علماء من الألمان وعشرين جندياً وإثنين وستين حصاناً و٢٨٨ جملاً لحمل الأمتعة . هذا عدا خدم الخديو الخصوصيين .

وتهتم مصلحة الحدود الآن باصلاح الطريق ما بين مرسى مطروح وسيوة ، فهي تزيل الصخور من الطريق وتضع مخلوطاً من خرسانة الأسمنت في المواضع التي يغطيها مطر الشتاء ، ثم إنها أصلحت بعض المستودعات القديمة الرومانية التي تجمع فيها الأمطار وسقفها بأسقف من خرسانة الأسمنت وعملت فيها فتحات حتى يتمكن المارة من أن يحصلوا على الماء بالقاء دلو مربوط في جبل كي يأخذوا ما يشاءون من الماء ، وحتى لا يضيع أى قدر من ماء الأمطار ، وازدادت تلك العناية عقب زيارة حضرة صاحب الجلالة الملك الأخيرة سنة ١٩٢٨ إذ أن مصلحة الحدود تعمل على

إيجاد أكبر عدد من مستودعات ماء المطر في طريق الصحراء بين مرسى مطروح وسيوة لدرجة أن العربي الذي يقطع المسافة سائراً على قدميه يمكنه أن يجد في طريقه كل يوم مستودعاً فيأخذ منه ما يحتاجه من ماء يكفيه طول اليوم ، ومن أكبر هذه المستودعات أو الآبار هو بئر جلالة الملك فؤاد الأول عند البويب وهي منتصف المسافة تقريباً بين مرسى مطروح وسيوة ، وتوجد آبار أخرى في الطريق أذكر منها بئر الكنائس والحجفا وغيرها . يقطع المسافر من مرسى مطروح الصحراء الغربية في رقعة من الأرض متشابهة الأشكال والمنظر لا تغيير فيها ، فهي رمال صفراء تغطيها قطع صغيرة من الأحجار المتناثرة هنا وهناك ، ويمر في طريقه ببعض التلويح الصخرية القائمة اللون ، ولا يرى إلا سراب الصحراء على امتداد البصر ، ولقد رسمت السيارات دروباً واضحة في الصحراء بحيث أصبح السائقون على إلمام بها بحيث لا يضلون الطريق كأنما هم يسيرون في شوارع البلاد الآهلة بالسكان ، وقبل الوصول الى سيوة بما يقرب من عشرين كيلو متراً تبدأ العربات بالانحدار في طرق منعرجة وسط الصخور التي تحيط الواحة ، ولا تزال هذه الطرق تنحدر في ميلها تدريجياً حتى تتمكن السيارات في نهايتها من الوصول الى الواحة نفسها ، وذلك الانحدار طبيعي لأن هضبة الصحراء ترتفع عن سطح البحر ، بينما الواحة نفسها منخفضة عن سطح البحر حوالى عشرين متراً ، وما أن ينتهي ذلك الانحدار حتى ترى أشجار النخيل وقد مالت كل منها على الأخرى وكأنما هي عرائس وضعت على رؤوسها أكاليل من أوراق الربيع الخضراء ، وتراها وهي في وسط الواحة الهادئة الساكنة كأنما تسر كل منها للأخرى أسرار الكون وأسرار وجود الحياة وسط تلك الصخور الصامته الخرساء . ولا شك في أن القادم على سيوة حينما يقع بصره على أشجار الزيتون والنخيل يشعر بالفرق الشاسع بين تلك الصحراء المملة برمالها ودروبها ، وبين تلك الواحة باخضارها ووجود الحياة البالغة فيها ، ثم يستمر السير وسط حقول الواحة وقد أحيط كل حقل بسياج من جريد النخل الذي لفحته حرارة الشمس فتحول لونه من أخضر زاه الى أصفر ذهبي ، وبعد مسير بضع دقائق تصل وسط البلدة عند مركز سيوة .

« يتبع »

الكتاب

رسائل سائر

من بلاد العرب الى بلاد اليونان

بقلم صاحب الفضيلة الشيخ محمد سليمان

من الأمور اليسيرة العسيرة ، السهلة الممتعة ، التي تستعصى اجادتها إلا على ذوى الأفهام النادرة ، والأقلام القادرة ، وإن خدعت ظواهرها ، وخيل لأوساط الكتاب أنها هنة هينة ، تستطيع أرباع الأقلام وأنصافها أن تجول فيها وتبرز ، هي تصوير الشعوب تصويراً صادقاً ناطقاً قوياً رائعاً . . . يروى عن سائح فرنسي زار إنجلترا ، أنه لم يكذب يقيم بها أسبوعاً حتى حمل القلم وهم بالكتابة عنها ، فلم يقطر قلمه إلا كلمات متقطعة وأسطرار كيكة فلم يشأ أن يرد ذلك الى قصوره وعجزه ، وزعم لنفسه أنها سبعة الايام لا تجمع في الذهن محصولاً من الصور يكفي لاجادة التصوير ، وعول على الإقامة شهراً كاملاً ، فانقضى الشهر واهتز القلم ، وانغمس في الدواة مراراً وجف مراراً ، دون أن يهبط عليه الوحي الذي يرجو ، ولكنه ليس عاجزاً ولا مقصراً ، إنما هو الشهر لا ينفع ولا يجدي كاتباً يريد أن يجيد ، فصبر حتى دار الفلك دورة كاملة ، وانسلخ العام بشهوره الاثني عشر ، والذهن على ركوده والقلم على جموده ، فأيقن بعجزه عن الوصف وارتحل

فليست الكتابة عن الأقطار والشعوب هينة لينة كما يبدو ، إنما هي مرتبة عالية ، تحتاج الى قلب كبير حساس ، يمي ما يرى من الصور وعياً تاماً ويحسها احساساً قوياً ، حتى لكأنه نشأ بينها ودرج في أحضانها ، والى عقل راجح لا يميل به الهوى ، فيزن القول وزناً دقيقاً عادلاً ، والى قلم قدير ينطق بما يحسه القلب ويحكم به العقل . وقد اجتمعت هذه الادوات الثلاث لدى الاستاذ الجليل الشيخ محمد سليمان ، الذي طوف في أرجاء فلسطين وسوريا وزار بلاد اليونان ، فلم يعوزه ذلك القلب اللاقط الحساس ، ولا غرابة

فهو أبو التلاميذ جميعاً ، الذي وسعت رحمة قلبه ألوف الأبناء ، ولم ينقصه العقل الراجح المتزن العادل ، فقد عرفته منصات القضاء أعواماً وأعواماً ، فاذا ما أحس قلبه واذا ما حكم عقله ، ألفيا قلماً بليغاً ينطقانه في بيان ساحر خلاب .

طوف الأستاذ في تلك الأنحاء ، فأحس كثيراً وعلم كثيراً ، فأملى على القلم إحساسه وعلمه ، فصدع القلم ودمج فصولاً لست أعرف خيراً منها ، أستغفر الله بل ما يدنو منها فيما كتبه الرحالة المتجولون حديثاً ، وأخذ ينشر تلك الفصول تباعاً في صحيفة سيارة ، ثم نظمها اليوم في كتاب ، حتى يطالعها الأخلاف كما قرأه المعاصرون ، فكان هذا الكتاب القيم : رسائل سائر

قرأت الكتاب فراعني منه جوانب ثلاثة : التصوير الدقيق ، والملاحظة الصحيحة ، واستخلاص العبرة ، ولو أردت أن أسوق اليك الأمثلة لنقلت اليك الكتاب الذي أدعوك لقراءته من السطر الأول إلى السطر الأخير

على أن في الكتاب هنات يسيرة ، كنا نرجو أن يبرأ منها كالتطويل القليل الفائدة في بعض المواطن ، وقلة عدد الصور ، وهذا القليل لم ينل حقه من الاجادة تصويراً وطبعاً ، وكالأطناب في خالد بن الوليد ، ومن رأينا أن ما يمكن تحصيله وأنت هاديء ساكن في مكتبك ، ليس مما يحسن ذكره في كتب الرحلة ، وبوقوع بعض الأخطاء اللغوية ، أو التي نحسب أنها كذلك ، ففي صفحة ٧ يقول « ظاهرة حقة » ونظن أن الصفة هنا لا تؤنث كقولك رجل عدل وامرأة عدل . وفي صفحة ٣٥ ذكر الريح مذكراً وأظهرها أو يحسن على الأقل — أن تكون مؤنثة . وفي صفحة ٣٨ ذكر « باقة زهر » والباقة لا تكون إلا للبقول ، أما حزمة الزهر فيقال لها طاقة الزهر .

وانما نذكر هذه المآخذ لضرورة ذكرها في مجال عرض الكتاب ، على أنها لا تشوه من جمال الكتاب في شيء ما